fb/mashro3pdf

التحديق في العيون

fb/mashro3pdf

التحديق في العيون

قصص

إبراهيم عادل

تصميم الغلاف : محمد عيد

رقم الإيداع : 2013/7354

I.S.B.N:978- 977- 488- 208- 1

دار اكتب للنشر والتوزيع

الإدارة : 10 ش عبد الهادي الطحان من ش الشيخ منصور, المرج الغربية, القاهرة .

المدير العام : يحيى هاشم

هاتف : 01110622103 - 01147633268

E – mail :daroktob1@yahoo.com

Facebook : دار اكتب للنشر والتوزيع

الطبعة الثانية 2015

جميع الحقوق محفوظة©

دار اكتب للنشر والتوزيع

fb/mashro3pdf

التحديق في العيون

إبراهيم عادل

قصص

OKTOB.NET دار اكتب للنشر والتوزيع

دار اكتب للنشر والتوزيع

fb/mashro3pdf

عزيزي القارئ

صدرت هذه المجموعة منذ نحو عامين "بقصص أقل".. وتمت إضافة بعض قصص الكتاب الأول إليها الآن.. حتى يعم النفع.. ولذا يمكن اعتبار هذه الطبعة التي بين يديك طبعة "مزيدة".. وهي بالتأكيد "منقَّحة".

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

ممارسـة ..إنسانيـة

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

قرأوا الفاتحة!!

أنا لم أتحدث معه عن شيء!!

"أحب ابنتك، وأريد أن أتزوج. . ."!!

أنا لم أقل هذه الجملة أبدًا! ...كيف فهموا ذلك؟ ولماذا؟!

كان الحديث بيننا عاديًّا، ربما بدا وديًّا بعض الشيء.. ولكنه لم...

حسنًا.. الأحداث من البداية مرتبة بذهني جيدًا، أعلم أني نسيت الماء على النار حتى شممت رائحة احتراق "البراد"، وبعدها وضعت الماء مرة أخرى لسلق البطاطس، ثم قمت مرة أخرى على رائحة احتراقها!!

ولكني لم أعطهم موعدًا ليحضروا هذا المساء، وكانوا يقولون أين ما وعدتنا به؟ أنا لم أعد أحدًا بشيء!! يضحكون بصوت مزعج!! ويقولون لي قريبًا ستنسى اسمك!! أقول لهم أنا اسمي... (فلان)..

fb/mashro3pdf

وأذكره! أعرفه جيدًا... يلمحون بوجهي الضيق، ويسألونني: هل قرأتم الفاتحة ليلة أمس؟... أصمت لثانية، فيتندَّرون:

– ربما قرأ لهم مقالًا من كتاب... (هههههه)

– لا، قال (الفاتحة) وصمت وتمتم!!

يبالغون في الضحك والسخرية مما لم أفعله أصلًا!!

الأمر يسير..

غدًا سأذهب لأبيها وأقول له: يا عم هل قرأنا الفاتحة؟ ثم ما علاقة الفاتحة بالحب، والزواج؟!... لم يرد فيها لفظ "الحب" مرة واحدة.. "اهدنا الصراط المستقيم".. هل يرد الحب في القرآن.. أصلًا؟

أتذكر "يحبهم ويحبونه"... الله يحب، لماذا لا نحب نحن أيضًا؟!

ولكن الزواج، والفاتحة؟!.. لا أعلم حقًّا...

يعلو صوتي: لن أقرأ الفاتحة! ربما سأقرأ لهم "الإخلاص"!!

يتضاحكون – على عادتهم – من الفكرة، ويستمرون في السخرية، يرمي أحدهم "قشر اللب" على وجهي ساخرًا:
– اقرأ عليهم سورة الحب!!

أفكر.. ويستغفرون!

fb/mashro3pdf

أنا لا أنسى ما يحدث، كانوا عندي كلهم، وقالوا هذا الكلام، وانصرفوا فجأة! لكني لم أضع الماء على النار! ربما وضعه أحدهم!

.... لا ، بل وضعته، ونسيت. . .

ليس "ألزهايمر".. تنتشر هذه الكلمة بين شباب هذه الأيام، وكأنه برد/ إنفلوانزا يصيبُ الناس جميعًا! وينتشر في الجو، بحثت في الإنترنت فعرفت معلومات طمأنتني جدًّا، مصابو "ألزهايمر" أكثرهم ممن تجاوز الستين، لم أتجاوز الثلاثين بعد، ولا أنسى أشياء كثيرة!

حسنًا...

سألجأ – على كل حال – لطريقة أخرى لتذكر ما يزعمون أني أنساه، سأثبت لهم أني لا أنسى بهذه الطريقة، سأقرأ حتى كتاب "كيف تقوي ذاكرتك" الذين يقوون ذاكراتهم لا ينسون، سأفعل كل الحيل اللازمة...

من الممكن أن أدوِّن أيضًا ما أقوله، أو أسجله إذا لزم الأمر!

الآن ..

هناك ورقة على شاشة الكمبيوتر، تقول"الماء على النار"...

أذهب إلى المطبخ مباشرةً، النور مغلق! لا أثر لبراد، ولا ماء يغلي! حسنًا، لن أغير الورقة سأضع ماءً على النار، لكي أتذكره... والآن أعود إلى غرفتي مرة أخرى.

fb/mashro3pdf

تبًّا، لا ماء على النار، لقد نسيت هذه الورقة من المرة السابقة، أو ربما كتبها لي أحدهم! سأقطعها..

حسنًا هكذا تقوى ذاكرتي تدريجيًّا...

سأحفظ بعض الأشياء وأرددها، حتى أتأكد من قوة ذاكرتي..

لحظة.. هل أحفظ الفاتحة؟ هل قرأناها فعلًا؟

الفاتحة: (بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، .... مالك يوم الدين، صراط الذين ...)

لا، إنني أنسى، أتجه إلى المصحف، هكذا أستطيع أن...

هل قرأنا الفاتحة يومها؟ هل ذهبت إليهم؟ هل قلت إني أحبها جدًّا؟ هل قال أبوها اقرأ الفاتحة إذا كنت تحب؟!

لا توجد آثار دالة، أعرف مكان بيتهم، سأذهب وأسألهم، سآخذ المصحف معي، كي لا يتكرر ما حدث في المرة ال... مهلًا!!

هل قلت لهم إني لا أحفظ الفاتحة؟ هل طلبت منهم بدلًا من ذلك أن أقرأ سورة "الإخلاص"؟ هل كان طلبي هذا شاذًّا فرفضوا.. رفضوا أن ...

ألا يزال أخي يحتفظ بشريط الفيديو؟ أين هي؟ أين أبوها؟ أين أخي؟

fb/mashro3pdf

لماذا أنا الآن هنا.. وحدي؟

لماذا يرمقني كل من في الشارع بهذا الاستغراب؟ أنا فقط أدوّن ما أمر به، وما يقولونه لي حتى... حتى لا أنسى!!

ها هو بيتها، لم أنسه إذًا!

ذاكرتي قوية جدًّا، تبًّا لهم جميعًا.

ترتمي في حضني...

- لقد مات أبي.. (هل قالتها؟!!)

- كيف عرفتَ عنوان البيت، لماذا لم تأتِ أمس؟!

- حسنًا الآن سوف نقرأ الفاتحة على...

تحدق في عيني بشدة، تنفر الدموع من عينها فجأة...

- أتحفظ الفاتحة؟

حبيبتي تنسى أيضًا؟! ربما لهذا أنا أحبها، نحن متفقان إذًا في النسـ...

ولكني لم أنس ما حدث!

- هل قلت لكم إني لا أحفظها؟

- هل حفظتها يوم وفاة أبي؟!

fb/mashro3pdf

- أنتِ شريرة.

- بل أنت!

تركتها، وابتعدت تمامًا، وبدأت المشاهد تتداعى على رأسي...

أشعر الآن بأنها لم تكن هي! هل يمكن أن أنسى شكلها أيضًا؟!

أذهب إلى صديقي الذي يطمئنني بشكل مبالغ فيه "أن تكون هكذا فتنسى، أهون كثيرًا من أن تتذكر كل شيء! الذاكرة يا عزيزي مستودع آلام ومرار!"

أفكر فيما يقول...

- ولكني لم أنسَ ما حدث

- لا عليك، اعتبره لم يحدث أصلًا!!

- ولكن هل مات أبوها؟ هل صدمه خبر أني لا أحفظ الـ... لحظة.. هل تحفظ أنت الفاتـ.... حـ..ـة؟!

أنظر إلى يده: هل قرأت الفاتحة يوم...، هل الأمر يسيرٌ إلى هذا الحد؟!

ينظر إلي ببطء: هل تعتقد أن أحدًا يسأل هذا السؤال؟

أرد: ولكني كنت.. لا.

fb/mashro3pdf

يربت على يدي: صدقني ليست المشكلة فيمن يحفظ، أو يقرأ "الفاتحة".. ولا في التذكر والنسيان.. المشكلة أكبر وأعقد من ذلك بكثير.

أتمتم وراءه: المشكلة أبعد وأكبر من ذلك بكثير.. صدقت.

أين المشكلة؟ أين أنا الآن؟؟ أين هم؟

أسئله: هل جئتَ معهم عندي؟

يقول: لا.

.. بهدوء ...

ويطلب 2 ينسون

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

ذراع واحدة ...طويلة!

fb/mashro3pdf

ولمَّا أرهقك السير، جنحت إلى الركوب، وضقت بوسائل المواصلات التي لا تفضي إلى ما تريد، ولكنك وجدت واحدةً أخيرًا، وما إن اطمأننت إلى مكانك وسكنت فيه، بدد استقرارك وأزعج مقامك دخولها المفاجئ المستفز.

وكأن الأماكن الخالية لم تكن كثيرة، أشرت بـ"تفضلي" فلم تتردد، وأقلقك ذلك أكثر، جَلَسَتْ بالجوار وتَعَاملَت بتلقائية أربكتك!

ووَلَّيت البحر وجهك، وعزمت على السباحة عكس التيار.

ما بالك كلما تذكَّرتَها شعرت الآن بالاختناق؟!

تلك التي ما إن وُجدت حتى غدت كل الموجود، أخرجَتْ هاتفها المحمول، فاختلستَ النظر، حاولتَ أن تتشاغل عنها بمتابعة الغادين والرائحين، ومحلات الكشري وعصير القصب، والباعة الجائلين، عنَّ لك أن تفكر في حالهم، وتراءى لك أنك فعلت..

fb/mashro3pdf

أنكرتَ عينك التي لمحت (توم وجيري) على المحمول المجاور! حينها تملكتك دهشة لم تقوَ على كتمانها، لا حل إلا في مراقبة ذلك الوجه، وجهها طفولي بكل تأكيد! ولكنها حملتك لعالمٍ من القلق والتحفز.. ثم الضيق.

الفتاة التي شعرتَ لفرط سذاجتك بأنها تتآمر عليك، لما حوَّلت ما تشاهده إلى تلك المشاهد المقززة، ما بال عينيك اتجهتا الآن نحو السيارات؟! ما بالك شعرت بالقلق أكثر، بدأت تتململ في جلستك.. تحاول ألا تشعرها باضطراب، هل ستغادر؟ هل تغمض عينيك؟ سيظل عقلك يفكر... تبًّا!

الفتاة التي جعلتك تفكر في الخير والشر، والموت والحياة، والماضي والمستقبل، والتي جعلت طريقك يبدو كأنه سفر، أنت فيه على وشك أن تفقد الزاد.. والراحلة.. راحلة!

عزمت على المواجهة، كيف تكون عينها؟

الآن تضع المحمول في حقيبتها الجلدية فضية اللون، وتلمح طرف يدها الطويلة..

تلك اليد التي لا تتناسب أبدًا مع جسمها الضئيل، وبدا لك أنها لا تمتلك غيرها.. تمد بها النقود إلى السائق، ثم تبتسم وهي تعود بال"تذكرة" إلى من خلفها كأنها تقوم بعمل روتيني.

fb/mashro3pdf

الآن تصبح اليد "الطويلة" شغلك الشاغل، إنها دليل الاختلاف، ومبرر قلقك كله، ستدرك أخيرًا أنها غير عادية، وأن لعقلك إشارات لا يدركها الجميع، تدرك الخطر قبل وقوعه، وتحذر من الاقتراب، وتتوجس.. كثيرًا.

المرآة...

يطل عليك منها سائقٌ ذو أسنان بنية.. لماذا يبتسم؟ هل في الأمر سر؟

أكيدٌ أنت من أن السيارة التي تقلُّك هي المقصودة، وإن كانت حركة السيارات من حولك تشي بهروبٍ ما.

الآن تزيد السرعة، ويفتح الطريق بشكل يبدو لا نهائيًا...

الآن تطوِّقك الفتاة بذراع طويلة.. واحدة...

الآن لا تستسلم، يفكر عقلك.. كثيرًا...

أتكون تلك الفتاة رمزًا لمصر؟ أم رمزًا للهزيمة؟ السائق أهو الزعيم؟ والسيارة هي الوطن، ما هو موقفك إذًا؟!

ولكنك لا تحلم!

لم تنم أصلًا، منذ البارحة تفكر في أمور حياتك، لِمَ تستند على زجاج السيارة القلِق؟!

fb/mashro3pdf

تتحسس وجهك وأنفك، وتقرصك الفتاة على خدك!

كل ما حولك حقيقي إذًا!

ولكن الطريق، الناس في العربة، السيارات المجاورة، لأول مرة يبدون غير حقيقيين.

والناس في الآخرة، لا تقودهم السيارات، ولا تغويهم فتيات، ولا يعبثون بأجهزة محمول، في الآخرة لا سيارات أصلًا، لا تحتاج لسيارات هناك.

وأنت حي، ولا تحلم.. أأكيدٌ أنك غير نائم؟ هيا تقلَّب الآن، ستدرك أنك لم تحكم الغطاء عليك، أو أنك أكثرت في عشاء هذه الليلة، لكنك لم تتعش أصلًا! لم تذق الطعام منذ البارحة، ولا يمكنك التقلب لأنك جالس! والفتاة بجوارك بعباءتها السوداء، ووجهها الطفولي، وقد أدخلت هاتفها المحمول، وتراقب الداخلين من حولها، وتحاول ألا تقترب منك.

الآن تهز رأسك مرة أخرى بعنف، تشعر الفتاة باضطرابك، يبدو عليها التذمر.

كأنك من كوكب آخر، تطَّلع على هذه العوالم الغريبة..

تنظر للسائق مرة أخرى، يدندن بأغنية شعبية، تعرفها، إنه معنا، من هذه الأرض، من هذه البلدة، وأنت تعرفه، ليس في الأمر غرابة، لقد

fb/mashro3pdf

هدأت الحركة فقط، تبادر بسؤال: أين نحن الآن؟ لتكتشف أنك لا تزال في مكانك ذاته، والرجل يعبئ السيارة بالوقود.

لهذا ابتعدت السيارات، وشعرت بقوة الاندفاع، ولا تزال الفتاة بجوارك، والأسنان البنية للسائق واضحة.

لما بدأت حركة السيارة من جديد هجم النوم عليك، لم تصحُ إلا على يدٍ ناعمة تخبرك بنبأ وصولك.

تلتفت لتراها بالوجه الطفولي نفسه، تحمل جهازها المحمول، حقيبة فضية تشبه لون حذائها الفضائي!!

– هوا أنا نمت طول الطريق؟

تبتسم: تقريبًا..

– هوا إنتي بتحبي (توم وجيري)؟

بخجل: آه.

تنصرف...

تواجهك سيارات الجيزة، والزحام، والعربات والناس، ونداءات السائقين: هرم، فيصل...

تتداخل الأصوات في ذهنك.. فجأة!

تشعر بالتفاف الناس حولك، وتتناهى إليك أصواتهم كأنها من بئر سحيق:

– كانت هتخبطه، قدَّر ولطف.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

سيحـاول ألا يفعل ذلك.. ثانية!

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

.. سيقول لهم إنه لم يتعمد ما صدر منه كله!

سيقول لهم إنه آسف جدًّا.. لما حصل!

سيقول لهم إنه كان يصلي في المسجد لأنهم جميعًا يفعلون ذلك!

سيقول لهم إن صلاته كانت عادة "جهرية".. ليس إلا! وكذلك قراءته للقرآن.

سيقول لهم إن أباه كان يزيد له في المصروف يوم أن يحفظ سورة جديدة.. ولذلك كان يحفظ أكثر.

سيقول لهم إن الظروف وحدها هي التي دفعته دفعًا إلى هذا الطريق!

سيقول لهم إن القدر الذي وضعهم أمامه، هو نفس القدر الذي وضعه أمامهم، وإنه لا شأن له في الحالتين.

سيقول لهم إنه يخاف – الآن – على ابنه الصغير كثيرًا، وسيرجوهم أن يعتنوا به بحق لكي يكبر كما يريدون!

fb/mashro3pdf

سيقول لهم إنه كان يتمنى لو كان أبوه رجل أعمال، أو عضوًا في الحزب، وكان يتمنى في شبابه أن تكون كل جلساته حمراء، وكل مشروباته صفراء!

سيقول لهم إنه كان يحسد "عبد الحليم حافظ" كثيرًا...

سيقول لهم إنه كان يريد أن يغني، ويمثل، وربما يرقص أيضًا، ولكن كل الطرق سدت أمام وجهه!

سيقول لهم إنه كان يمارس العادة السرية بانتظام، وبدون أن يراه أحد إلا قريبه، نعم سيقول لهم إن ابن عمه كان يشجعه على ذلك، وسيقسم أنه لم يكن يعلم أنهم يعرفون!

سيقول لهم إنه أحب الفتاة التي تعرف عليها مؤخرًا، وأنه كان يحاسب نفسه طويلًا على هذا الحب!

سيقول لهم إنه انتظرهم طويلًا..

سيكون ممتنًّا لهم جدًّا لأنه أخيرًا هنا الآن، يستطيع أن يكون وحده.

سيقول لهم كانت تقتلني نظراتهم، حتى وهم يتبسمون!

***

تناقل أفراد العائلة الخبر بتندُّرٍ، وحذر.. أخرسته المفارقة كثيرًا، وعجز عن تجاهل الأمر:

fb/mashro3pdf

– أيوه حكم عليه.. مُحَمَّد ابن عمك هو اللي حكم عليه..

الآن حدَّث نفسه كثيرًا، لو كان صديقه تاجر مخدرات، أو حتى لصًّا محترفًا، لسارع بالتبرء منه، ولتحدث طويلًا عن أن النفوس تتغير، وعن أن (الله يرحم أيام زمان) و(نسأل الله الثبات).. ولكن الجميع يعلم – اليوم – أن صديقه "علي خير"، وأنه تم القبض عليه بدعاوى "سياسية"، وأن السياسة – تلك اللعبة القذرة – هي التي زجَّت بصديقه إلى المعتقل!

يتذكر الآن – أيضًا – أن ابن عمه لم يكن (ويؤكد أنه لن يكون) من "رجال السلطة"، وأنه رغم كل شيء لا يزال رجلًا شريفًا! وأن كل المقربين منه يشهدون بصدقه ونزاهته وأمانته، وأنه يؤدي واجبه بما يرضي ضميره، ويتحرى الحق في كل أموره!

يعلم الجميع أن للمناصب الحساسة بريقها وشوكها.. وكان يتمنى طويلًا لو لم يكن يعرفهما.

الآن يسأله الصغير الذي لم يتعدَّ عقده الأول:

– بابا، هوا إحنا كده مش هنشوف عمو تاني؟

– (و.. يسكت).

– بابا، هوا قريب حضرتك حكم على عمو بالسجن ليه؟

– يا حبيبي ده شغله، هوا مش حكم عليه هوا، هوا طعن الحكم

fb/mashro3pdf

بتاع القاضي التاني، لكن هوا أكيد رافض الحكم الـ...

- بابا ما تدافعش عنه عشان هوا قريبك!

- يا حبيبي مش بدافع!

- بابا.. ده ظلم! حسبنا الله ونعم الوكيل!

(يقولها الصغير.. بصدق، وبراءة).

- أحمد ممكن تدخل تشوف مذاكرتك؟

- وعمو (خالد) بيقول إنه ظالم.

- وبعدين؟

- طب هات لي نمرته، أكلمه..

- أحمد مش وقته!

الحوار مهما طال ينتهي، ولكن كيف لزحمة الأفكار أن تتوقف عن رأسه.. بالتأكيد عندما يحتضن وسادته سيتذكر الاثن ين صديقه وابن عمه، جلسات العائلة وحلقات التحفيظ، الضحك واللعب، أول مرة عاكس فيها فتاة، وأول درس حضره.. صديقه.. ابن عمه! لم يتخيل أبدًا أنهما نقيضان، أحبهما معًا وخرج مع كل منهما، ربما لم تحن فرصة التقاء لتجمعهما، ولكنه كان يحدِّث كلًّا منهما عن الآخر:

- صاحبك ده هيوديك ف داهية!

fb/mashro3pdf

– ابن عمك ده.. مصيبة!

أيهما كان على "حق" ؟! أيهما الآن على"حق"؟! أين الحق في كل ما يحدث حوله؟!

***

كان بمقدور الراوي أن يجعل الأمور تسير على ما يرام، وأن يحسن التلاعب بأبطاله كما يشاء، فيرسم ابتسامة في اليوم التالي على وجه الصغير، ويصوره فرحًا باستقبال (عمو مُحمَّد) (ابن عم والده) في العيد الكبير وهو يصر على أن يقول له:

– شكرًا يا عمو إنك طلعته، ربنا يخليك.

فيرد عليه ذلك الرجل بابتسامة ودودة:

– يا حبيبي أنا م ا عملتش حاجة، الحق لازم ياخد مجراه، وده شغلنا.

كان يمكن للراوي (جدًّا) أن يرسم جو العائلة الذي أصبح أكثر ارتياحًا بتراجع الرجل عن قراره ذلك، وكان بإمكانه أن يتمادى ليصف الجو الأسري الجميل، وأكواب الشاي وملاعق السكر...

ولكن ذلك كله لم يحدث! والراوي هنا لحسن الحظ – وربما لسوءه – ليس كاذبًا! ربما لو كان شاعرًا لفع ل، ربما لوضع رمزًا للعم والأب والصديق والصغير، بالوردة والشجرة والعصا والمطرقة!

fb/mashro3pdf

ولكن الراوي لم يكتب كل ذلك.. لقد كان يسرد ما حدث.. فحسب، وسيقول الراوي...

***

لم يكن الديك قد صاح بعد، ولم يقم أحد من مكانه حينما أتوا.. (زوار الفجر) الأعزاء! بملابسهم السوداء ووجوههم المتجهّمة، واقتحامهم المستفز، ...

كل ما كان يسمع حينئذٍ اسمه الصرااااخ...والنحيب... والبكاء، والذعر!

– خلاااااص، يعني عملكوا إيه؟

– اطمنوا..

ابتسامة شاحبة جدًّا على وجهه، يحاول أن يهدئ بها روع زوجته..

صرخة ابنه الصغير.. الآن مفزعة..

بابا.. يقولها والدموع تطفر من عينيه، (حسبنا الله ونعم الوكيل) الآن بصوت يشق سكون الليل!

(حراااااام عليكووو)... الآن الجميع يقولونها.

قلبوا أثاث المنزل وأزعجوا الصغار، ... ثم اقتادوه معصوب العينين!

fb/mashro3pdf

ترك الصغير يبكي بكاءً مُرًّا.. هذه المرة.. ويقولها من كل قلبه:

– حسبنا الله ونعم الوكيل فيكم، ربنا ع الظالم!

***

لم يلق صاحبه إلا بعد كل شيء!

بعد أن قال لهم إنهم تأخروا عليه كثيرًا..

وبعد أن قال لهم إنه ممتن لهم أن أحضروه هنا..

وبعد أن قال لهم علمت مبكرًا أن المجد لشيطان "أمل دنقل" وليس شيطانكم...

وبعد أن قال لهم إن الله أكبر منكم، وأرحم بي منكم..

وبعد أن قال لهم لماذا لا تقتلونني الآن؟!

وبعد أن قال الكثير من الكلمات.. وبعد أن ترددت (لا) كثيييرًا بين جنباته.. حتى إن لم تخرج من شفتيه!

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

الولد الذي أحب المـلائكـة!!

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

أنا لست مضطربًا كما يزعمون، لا هذه ليست آثار دماء.. أنا تحديدًا لم أقتله، وأؤكد لكم ذلك، وأقسم، كيف يمكنني أن أقتل، وأنا الذي أدوخ لمرأى الدماء، ذات صباح.. أذكره جيدًا، اضطررت أن أذهب وأخي إلى المستشفى المجاورة، لا أدري حينها كيف لم أمتنع، رغم أني أعلم أنه سيقوم بتحليل دمٍ لي، وأنا أعلم أنه منذ صغري وأنا...

أنا لا أخاف الدماء، لا أنا لست جبانًا.. نعم سقطت على أرضية المستشفى، ولكن بالتأكيد كان ذلك لأني لم أتناول إفطاري يومها صباحًا، كلهم قالوا ذلك، لماذا لا تصدقونهم، وتكذبونني؟!

وهي.. لم أفعل معها شيئًا، أنا أحب البنات، أحبهن جدًّا، أقول لكم لست مضطربًا، هذه الارتعاشات مصدرها جهاز التكييف الذي يئز من حولكم، ألا تلاحظون؟!

من صغري وأنا أحب الهواء البارد، يقولون إنه (عليل)، أنا لست عليلًا، ولا باردًا، أنا إنسان من لحم و . . . و . . .

fb/mashro3pdf

أنا أحبكم جدًّا، أرجوكم اسمعوني، ستعرفون كم أنا مسالم، وهادئ، لا تصدر عني تصرفات الطيش، ولم أضرب أمي، ولم أشد شعر إخوتي، ولم أسرق محفظة أبي وهو نائم!

أقول لكم، وأؤكد، كنت طفلًا مثاليًّا إلى أقصى حد، لا يهمني أن أقابله، أسمع من صراخ أمي ما يؤكد أنه كان معها البارحة، وأختي الكبرى كانت تبكي صباحًا وتولول أحيانًا، وتدعو عليه، أما أنا فكنت أراه دائمًا ملاكًا بجناحين، وإن كان لا يرفرف داخل عشنا الهادئ! نعم، كنت أراه هناك، هكذا، لماذا كل الأولاد يضربهم آباؤهم، ويعطونهم المصروف، ويبتسمون لمرآهم، ويحتضنونهم أحيانًا!

يحتضونهم.. نعم، وأنا أيضًا كنت أحتضنها، لا.. لا تقولوا إنها ماتت..

لقد أحببتها، وأنا لا يموت من أحبه بهذا القدر!

حتى أبي لم يمت، أمي هي التي فعلت، كان يزعجني صراخها جدًّا، وأؤكد لكم جميعًا أني دعوت عليها، ولو أنكم تعتقدون أن الدعاء شروع في القتل، فقد أكون قد فعلت!

ولكنه بكى عليها.. نعم، بكى مرة..

تعجبت لبكائه، وهو الذي كان يحرضها دائمًا، على أن تقف أمامه، وألا تتركه حتى يقضي على حياة أبينا؟

fb/mashro3pdf

أخي، نعم ... يقولون إنه أخي .. من أمي، من أبي، لا فرق!

جاء لكي يترك دموعه عندنا، ورحل...

حينها أدركت أني لن أراه ثانية، وحينها خرجت أنا أيضًا، هل كنت أحب أمي؟ لماذا ماتت؟ لماذا دعوت عليها كثيرًا هذه الليلة؟! كان صراخها يشق سكون الليل!

أقسم لكم أني لست مضطربًا، وهذه ليست آثار دماء!

من منكم يعرف معنى أن يحب فتاة، ويقترب منها حد الجنون، وتخونه؟!

من منكم يعرف معنى أن يعمل كل شيء من أجلها؟! وتتركه؟!

من منكم يمكن أن يرى أباه معها؟

من منكم يعرف أني بكيت حتى شققت ملابسي، وجرحت نفسي بسكين، وودت لو أقتلني، لأنني تذكرت أمي يومها كثيرًا؟!

ولكنها لم تفعل شيئًا!

لم تخنِّي... تبًّا لكم!

لم تتركني، وهذه ليست آثار دماء.

((يضحك.. بصوتٍ عاااالٍ))

fb/mashro3pdf

لم تتركني، لأني لا يمكن أن أكون قد أحببته، لقد أحببت الملاك ذا الجناحين، وكنت أستحضره، كلما أردت هناك على هذا السرير... الخالي.. منه، ومنها!

كنت أراهم دائمًا يحومون حول غرفتي، ينيرون ليلي، وأتخير من بينهم.. هذا أبي.. لا.. هذا أبي.. هذا أكبر.. هذه حبيبتي.. إنها تبدو أجمل.. وأحلق معهما فوق..

كلنا طيبون: أنا وأبي وحبيبتي!

لم أقتله.. قطعًا.

(أبوك ليس ملاكًا) هذا هو من وددت أن أقتله، ولكني أقسم لكم أني لم أفعل، إنكم لا تحاسبوننا على النوايا! كنا صغارًا، وكنا نتشاجر يوميًّا وكان يزعم أن أباه أفضل من أبي! ولكني لا أعلم لماذا كنت أحبه؟! هل كنت أحبه؟!

كل الأطفال تمر بهم لحظات يودون أن يقتلوا فيها، وأنا لم أكن طفلًا، ولم أحبها أصلًا، أنا أحببت الملاك الهادئ، يلبس مريلة أحيانًا، ويركض فيركض خلفه قلبي، ويبتسم فتطلع الشمس.. ولو من مغربها!

لقد ماتت أمي، لم أكن أحبها.. ولم تمت هي، ولا أبي مات!!

وهذه.. ليست ...

((ينهاار.. تمامًا))

fb/mashro3pdf

حسنًا الآن..

والاعتراف سيدٌ كما تقولون، لست سعيدًا، لم أكن سعيدًا، ولا طفلًا شقيًّا، حاولت كثيرًا أن أنسى وأنام، في كل مرة أصحو وأسمع.. لم أكن قد رأيت ملامحه كما أرى "عادل أدهم" مثلًا، لم أتفرّس ضحكته حتى أعلم إن كانت شيطانية أم كابتسامة "توفيق الدقن".. كنا نجلس، ويقولون لي أبي مثل هذا، وأبي مثل ذاك...

ولكني كنت كلما رأيتهما.. شعرت بأنه هو!

لم أفكر في أن أقتله أبدًا، كان يتراءى لي ليلًا كملاك، وصباحًا.. ك.. لا شيء!

وهو لم يهتم بأن يراني، وأمي تقول إنه لم يسمِّني أيضًا، هي التي سمَّتني "جميل"، وكانت تدللني.. لا أعلم كيف، لا أتذكَّر، نعم أنا نسيت، نسيت كل شيء!

تريدون أن تأخذوني الآن.. افعلوا فورًا.. ولكن قولوا لحبيبتي أيضًا إني كنت أحبها، ركزوا على "كنت" هذه كثيرًا، واحرصوا عليها، لا تقولوا إنه يحبك.

صدقوني لم تمت، وهذه ليست دماء!

إنها تلعب بكم، وبأعصابي، سوف تقوم، وتضحك، وتتدلل كما كانت تفعل دائمًا، ستقول لكم إنها لا تريد منكم إلا قلوبكم الدافئة،

fb/mashro3pdf

ستسألكم عن آبائكم، وستطلب منكم أن تسرقوا من أجلها، وتكذبوا من أجلها، وتشدوا شعور أخواتكم الصغار من أجـ...

(يبكي)

ستقوم، وخذوني الآن، فلا أريد أن أراها، ولكن هذه ليست آثار دماء!

ولم أقتلها، ولكني... ارتويت!

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

التحديق في العيون

fb/mashro3pdf

خرجتُ مِني، انطلقت من ذاتي، حاولت الابتعاد عنِّي، لطالما ضقت ذرعًا بي، الآن بإمكاني أن أنظر إلى العالم بطريقة أكثر رحابة، بمنظاري الخارجي، لا أثر لي عليَّ، ولا أثر لآخرين على ردود أفعالي، تنسمت الهواء، واستنشقت بخار الماء، لم يكن بإمكاني أن أفعل ذلك سابقًا، لكن خروجي الآن لم يكن بمعزل عن الآخرين، كان خروجًا أدركه مؤقتًا، خروج أمامهم، على حضورٍ غير ذي قيمة منهم، قبل الخروج رسمت داخلي وجوههم وملامحهم جيدًا، بتجعدات بعضها، بمساحيق البعض الآخر، بما يشوبهم أحيانًا من تبسمٍ طارئ أو عارض، قبل خروجي تأكدت من استفزاز أرواحهم، واستنفار التلاقي، حتى يكون الخروج ذا بال!

لأول مرة أتعرض لمهمة من هذا النوع، طالت معاناتي كثيرًا حولهم، وبينهم، حرت مثلهم في أمرهم، الآن يمكن أن أعرف ما يكنون، وأدع ما يُظهِرون، ساءلتُني طويلًا: لِمَ أشغل نفسي بالمظهر إذا كنت داخلًا إلى اللب والجوهر، ووجدتني أجيب بثقة واطمئنان: لأن النفوس محصنة

fb/mashro3pdf

بتلك الدروع، أما الأرواح فلا حصن لها، وإذا قابلت أرواحهم كما هي، فربما التبست عليّ روحٌ من آخرين، أو ساءني اندماج مندمجين!

سَرَّ خروجي أن تبسمت بعض أرواحهم لملاقاتي، وإن أبدى البعض الآخر الاستياء، حالة كهذه يصعب التكهن بعواقبها، لكني مقتحم، ومقدمٌ أيًّا كانت العواقب، الأمر ليس أكثر من عرض وطلب، إما أن يقبلوا فأنال مرامي، أو يرفضوا فتعمل نفسي استعدادها اليسير لملاقاةٍ وشيكة!

أنفر من أن أعد لكل حضورٍ هيئة، ولكل مجلسٍ مقام! شروعي الآن نحوهم يمنحني شعورًا ما بتسلط، حتى هذا أنفر منه، بأيهم أبدأ، وكل الأرواح تبدو ساكنة، على يقينٍ من اشتباك ما! لبعض الأرواح أثر في أجسام أصحابها، سأبدأ بأكثرهم بعدًا، على اعتبار أن العودة للقريب أيسر!

مرحبًا أيتها الروح الطيبة، كل ما أوده منكِ تهيئة صاحبتك لقبول كلام صاحبي، وسماعه برضا تام، ما رأيك؟ لم تبدِ الروح استماعًا!! بدا لي أنها في عالم مخالف لما كان عليه مظهرها السطحي الذي لا يزال مرتسمًا داخلي! أإلى هذا الحد يتقن البعض الغوص فيمن أمامهم، فيما روحهم غائبة لحدٍّ بعيد؟ على صفحة الجسد تراءى لي تجاذب أطراف حديث، وفعالية لا تعكسها هذه الروح الغائمة الغائبة! حسنًا أيتها

fb/mashro3pdf

الروحِ، سأبث فيكِ الأمر، علَّ صمتك لا يعكر مزاج الصاحب على كل حال!!

روحٌ أخرى، أذكر صاحبها، كان مُسرفًا في التفكير - فيما بدا - روحه الآن سعيدة بالتلاقي، قابلتني بود غريب، وأجلستني بالجوار، وتبادلنا أطراف حديثٍ عابر، ثم قررت عليها الأمر، ندَّت منها ابتسامة واسعة، وقالت لي لك هذا بالطبع، كما تشاء، ولا تخش شيئًا، لي عند صاحبي الأثر الذي تريد، خرجت مصافحًا، مرتاح البال، هكذا الأرواح الطيبة، دمتِ لي!

روحٌ أخرى أبدت الاضطراب والكثير من البلبلة!! أذكر قسمات صاحبها جيدًا، الترحيب، ومبادلة الابتسام، والود مع الجميع! حاولتُ التهدئة، فتمنّعت، روحٌ عصية على الفهم، ألقيت أمري، وبثثتها طلبي، فسمِعَت، وأخذت تردد: ربما، سأحاول، دعني الآن.. دعني الآن! أربكني بعض الشيء ارتباكها، ولم أشأ أن أشتت أمرها، انصرفت غير مبالٍ.

روحٌ ثالثة بدت ذات دلال، أتذكر صاحبتها جيدًا كانت تبدو ناعمة، ذات قوامٍ هادئ، أجفلت من مجرد المرور، وبدا لي عندها قلق الاقتراب، وتوجست خيفة! بثثتها الأمر، فزاد دلالها، وقالت "لك ما تشاء"، انصرفت بسرعة!

fb/mashro3pdf

أقلقني أني في الانتقال مضطر لأن أتابع دون رجوع، كم وددت لو أعود لأرى أثر التغير فيما قبل وما بعد، ولكن تسارع المهمة اضطرني لأن أواصل المرور، دون عودة، ولا تعقب!

روحٌ أخيرة أجبرتني على الوقوف عندها طويلًا، صاحبها كان بادي الحياء، لكنها لم تكن مثله، على العكس سُرَّت ببقائي، وحرصت على الاقتراب أكثر، قلقت في البداية، ولولا أن الأرواح لا تتلامس لانصرفت في خوف! لم يكن صاحبها مثلها في الاستعداد والحضور! رققت لحاله، ونويت أن أخبره بأمر روحه، حتى يغير من أمره أو يحاول على الأقل! روح كهذه ينبغي الاعتناء بها أكثر، متابعة شأنها، والإفضاء إليها بكثير من المكنون! والاستراحة إلى جوارها بأكثر مما يعزلها صاحبها!

وهكذا.. أتممت مهمتي على وجه بدا لي أكمل! ما بين متقبلٍ للأمر ونافرٍ منه، كان يسيرًا عليَّ أن أدوِّن في ورقة: من معه، ومن عليه، هكذا يكون الأمر أيسر.

عدت ظافرًا كأكثر ما يكون الظفر، لم أتوقع كل هذه الاشتباكات المرحلية، والزمن دقائق في عمري الآخر، بيد أنه كان ساعات في عمري الثاني عندهم هناك، شعرت إبان العودة بنفسي كراجلٍ ما إن استقر به الرحيل على مقام سفينة حتى غرقت في عرض البحر، ومن عجيب أمره أنه لم ينج سواه! أي فرح!

fb/mashro3pdf

عَنَّ لي بعد العودة ومقاربة الاكتمال أن أعقد صلحًا مؤقتًا، مسافة نَص، تشرئب له الأعناق، وترهف له الأسماع، ويدوخ في تراكيبه وعباراته كل الحضور، كان أن حدقت قليلًا في بعض العيون المتحفزة، وفردت أصابعي الخمسة في وجوههم جميعًا، فبدا لي منهم انجذاب غير عادي، كل مجموعة تركزت بنظرها عند إصبع، وبدا لي الجميع، بآذان خاوية، وعقولٍ فارغة، وإن استمرت الألسنة في الحركة والهمهمة والتمتمة! ما إن ضممت قبضتي عند مشارف النهاية، حتى صدرت عنهم التنهدات، وكأني أطلقت أرواحهم المسكونة، فعادت إليهم على اشتياق!

للحظات بدا لي النص مقدسًا، يمنحني المزيد من البريق، ماذا تفعل إذا كان الأكثر منصتًا، وقد سيطرت الروح على العديد من الحضور بإشارات واتفاق لم تدركه أجسامهم المنشغلة، كنت أتحدث فأبرق كسحابة وأغرد كعصفور وأسير كجدول، ما إن انتهيت حتى بدا لبعضهم أن يلقيني بأحجار، ظنًّا منه أني تلك النخلة العالية، التي لن تمنحه بعضها إلا إذا منحها ذلك، ما كان من الأمر إلا أن تماوجت الأحجار بحركاتها الدائرية المعتادة، واستمر الجريان، البعض الآخر عنَّ له أن يرميني بالنبل، فما كان مني إلا أن طرت غير مبالٍ، آخرين رأوا أن الأجدر بهم أن يهيئوا أنفسهم لاستقبال الغيث، فارتووا وفاض الخير من حولهم...

fb/mashro3pdf

أدهشني – على عادته – رد الفعل، وكدت أخنق روحي المضطربة، هذا يشيد، وهو لم يبد استعدادًا لسماع، وآخر يهوي على رأس الكلمات بمعول، وكأن روحه بمعزل عن كل اتفاق، وآخر يتراوح لا معي ولا علي، وقد كانت روحه...

الآن سأصب لعناتي كلها عليكِ أيتها الموهمة بالسيطرة وإحكام الأمر، الآن سأفِرُّ أنا منكِ، وأترك لك حرية التفاوض على اتفاق كان ولم يكن! الآن إما أن أخلُصَ إليكِ أو تتخلصي مني إلى الأبد!!

سمعت قعقعة لم أعهدها بداخلي، ورأيت أن أغمض...

(ما الأمر؟!

– لا أعلم..

– لماذا هم كذلك؟!

– لأجسادهم وحركاتهم سيطرة أكبر..

– ما العمل؟!

– التصدي بشكل مختلف..

– وما دورك؟!

– سأنصت وأنت أقوى!!)

fb/mashro3pdf

لو كنتِ تُمسكين بيدٍ أو تُحتوين في صندوق! إذًا لانهلت على رأسك وأطرافك حتى لا توهميني ثانية!

(– أكمِل الترقب، ولا تفقدني.. أنا أقرب إليك!

– ما أنتِ شيء! كيف لي أن أثق؟!

– ليس من المرة الأولى؟!

– كل المرات عندك.. أولى!

– أحاول الآن، ولا ضير؟!

– تمعنين في خداعي، ستفرين؟!

– ما كنت لأفعل!

– بل افعلي!!)

زاد الأمر عن حده، وخشيت أن يبدو عليَّ اضطراب، حينئذٍ سأسحقنا معًا لا ريب!

ما إن عدت لوجوه كنت تاركها من ثوانٍ، حتى بدا لي تغير الأمر، وكأن أحدًا يهمس "ما بك؟" لم أحر ردًّا، ولست على يقينٍ من سؤال!

بينما أنا كذلك إذ لمحت عرقًا يتصبب، لم يكن تلك القطرات الشفافة، وإنما أخذ لونًا أحمر قانيًا، احتواني، استغربته، متجاهلًا إياه.. طلبت الإذن في الانصراف.

fb/mashro3pdf

بعد قليل.. سُمِع دويٌّ هائل!

fb/mashro3pdf

للـخـلـف.. ســـر

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

تعلم أن نظرة عينيك إليها.. لم تكن كما ينبغي.

تشير إليك: "قول له يستنَّى".

تنفذ..

تهمس إليك، بينما تصعد: "أي مكان هتنزله، هنزل معاك".

تفاجئك الكلمة، تلتفت إليها، تتظاهر بأنها لا تراك بينما تعبث بالأزرار العلوية.

على المرآة .. تأتيك صورة عينها الجامدة! هل هي ميتة؟!

غمزةٌ بإحدى عينيها، هل تبث الحياة؟ أي حياة!!

تحاول أن تتشاغل عنها.. تتحدث إلى السائق بعينٍ.. بينما الأخرى تختلس نظرة أخرى.

تتردد عند اقتراب المكان، تحاول أن تفاجئها.. ولكنها...

– "يمينك يا أسطى".

fb/mashro3pdf

لماذا أصررت على ألا تنظر وراءك؟ هل هو الهروب؟ أم الثقة؟

– اسمي زهرة.. ولا أقول لك "وردة"؟!

ترمقها بعين أخرى، تقول:

– إنتي عاوزة إيه؟

– أنا؟ هوا أنا اللي...

يخرسها تجاهلك، وخطواتك الحذرة..

تجاورك، تلعب مئات الأفكار في رأسك، لا تعرف إلى أين تقودك قدماك بجوارها!

– عندك مطرح؟!

تكسر الصمت.. تبتلع ريقك بصعوبة، وتتحسس المفاتيح في جيبك:

– لأ.. بس...

هكذا يجب أن يكون الرد، هل ستضيع الفرصة؟ (لأ) لأنه يجب أن تكون (لا)، و.. (بس).. لفتح مجالٍ آخر.. هل تراوغ؟

تنظر إليك نظرة ذات مغزى..

– بس إيه؟ والنبي عندك مطرح.

تفاجأ بيقينها، تتذكر وحدتك الليلية، وتفكيرك الدائم..

fb/mashro3pdf

– روحي يا بنتي، ربنا يسهل لك.

تضحك بدلال:

– هوا أنا بشحت منك يا أخينا ؟! أقول لك إنتا عندك "مطرح" بس مستخسره فيا.. تعالى معايا.

تخترقك بعينيها، تمسك يدك.. رعشة مفاجئة تحتل جسمك.. تبتلع ريقك مرة أخرى.. تشعر بمرارته هذه المرة، تفاجأ بأنك تتبعها...

تفلت يدها من يدك برفق مقصود..

تدور في ذهنك أفكارٌ عدة.. يدق قلبك بعنف..

تحاول أن تسبقها..

تتراجع..

تمتد خطواتك للأمام.. في صمت!

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

بين فيلم.. ومظـاهرة!

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

الفيلم الذي عرضته قناة "فوكس موفيز" عشية ضرب غزة لم يكن عن الحرب، ولا عن الحب، ولا حتى عن مهارات الدفاع عن النفس.. ولم أتابعه.

الورقة التي تركها لي أخي، بعد احتدام نقاشنا حول العلاقة بين السلطة والشعب والديمقراطية لم تكن تتحدث عن هذه القضية أصلًا، ولم ترد فيها مسألة خياراتي الشخصية، وعلى الرغم من أني لم أولها اهتمامي، إلا أنني كنت أود أن أسأله على من تعود (نـا) في جملة "النصر لنا" التي تركها لي؟!

الفيلم، والورقة، ورسائل المحمول، وعبارات التنديد والشجب، وصراخ الساسة والمثقفين، ومظاهرات البسطاء وتعاطفهم... كل ذلك جعلني أفكر بجدية: لماذا لم أتزوج حتى الآن؟!

***

حينما شاهد "علي" التلفزيون لأول مرة في حياته كان يصدق كل ما يدور داخل الشاشة الصغيرة وكأنه يراه من نافذة بيتهم، وكأنه يحدث

fb/mashro3pdf

عند الجيران، لدرجة أن أخاه أمسك به ذات مساء وهو يحاول إخماد النيران التي اشتعلت في منزل بطل أحد الأفلام التي كان يشاهدها، وعبثًا حاول أن يفهمه أن هذا مجرد "تمثيل"، وأن البطل لم يمت، ولم يحترق بيته، ...

"علي" ليس طفلًا صغيرًا، إنه شابٌّ على قدرٍ من الوسامة، ولكن تأخرًا طارئًا في عقله جعله غير قادرٍ على استيعاب ما يشاهده على الشاشة، وفصله عن واقعه، على الرغم من إدراكه أنه بمجرد إطفاء "الشاشة" يخلد الجميع إلى النوم.

حاول (عمر) (أخو علي) أن يبعد أخاه لفترة عن مشاهدة التلفزيون، ... ولكن ذلك الأمر لم يستمر طويلًا.

تعرَّف بعض الأطباء على مشكلة "علي" النفسية، وحاولوا أن يساعدوا أخاه في التعامل معه، وأكدوا له أن رغبته في "فعل الخير" للغير ستجعله أفضل بصفة دائمة، وأن عجزه – في المقابل – عن مساعدة الناس ستصيبه باكتئاب حادٍّ، وقد تؤدي به إلى محاولة إيذاء نفسه.

شيئًا فشيئًا أدرك "عمر" أهمية أن يجعل أخاه قادرًا على مساعدة الناس، فبدأ بتعريفه على جمعيات المساعدة الإنسانية، وفوجئ بكم العطاء الذي يبذله لأفرادها، وقدراته الواسعة على زرِع الابتسامة فيمن

fb/mashro3pdf

حوله، وتحويل كدر عيشهم وضيقهم بأحوالهم إلى سعادة ورضا، ولاحظ كم كانت روحه المعنوية في تلك الزيارات تكون في أعلى حالاتها.

إلا أنه كان كلما عاد إلى منزله تفقَّده مليًّا!

ببساطة.. سأله ذات يوم عن "التلفزيون".

حاول "عمر" مرارًا أن يشغله بأمورٍ أخرى، وكان يبدو على "علي" أنه ينسى، ولكنه يعود مرة أخرى، فجأة، ليسأله عن "التلفزيون"، فبدا أمر "التلفزيون" أكثر خطورة مما كان يتوقع!

بعد خمسة أيامٍ تقريبًا وجد "عمر" أنه لا جدوى من إخفاء التلفزيون عن أخيه، بل وفكر في حيلة تجعل أخاه قادرًا على مساعدة أبطال المسلسلات والأفلام التي تُعرض في التلفزيون طوال ساعات بثه!

توجه "عمر" إلى المسئولين في التلفزيون، وشرح لهم حالة "علي" باستفاضة، وعرض عليهم أن يساعدوه في التعرف على أبطال المسلسلات والأفلام التي ستعرض في الأيام القليلة القادمة حتى يتمكن من استضافتهم في المنزل، ومن ثم يجعل عليًا قادرًا على مساعدتهم، مؤكدًا أنه يجب أن تكون هناك حلقة إضافية بعد مساعدة "علي" للبطل توضح مدى استفادته منه، والعجيب أن مسئولي التلفزيون رحبوا جدًّا بالفكرة، ووجدوا فيها تواصلًا جديدًا وفريدًا بين الشعب وهذا الجهاز الإعلامي الجديد.

fb/mashro3pdf

5 أفلام و 3 مسلسلات هي حصيلة الأسبوع الأول من التجربة التي جعلت عليًّا يتقافز بين أركان البيت لفرحته المفرطة بأنه استطاع أن يقرض البطل الأول مالًا يتمكن به من أن يتزوج حبيبته، ويساعد الثاني في إكمال تعليمه حتى يحصل على الوظيفة المناسبة، والثالث والرابع والخامس... إلخ.

كانت الأفلام تنقسم إلى ثلاثة أجزاء.. يشاهد علي جزءها الثاني فقط بطريقة "البث المباشر"؛ لأن الأبطال يكونون حاضرين عنده، ويتمكن في دقائق أو ساعات من حل أزماتهم ومشاكلهم، ليظهروا في الجزء الثالث وقد علتهم الابتسامة، شاكرين مقدرين لعلي ما فعله من أجلهم!

***

في البداية لم يكن هناك لنشرات الأخبار الحقيقية مجال...

وكأن كارثةً حطت على رأس "عمر"، بعد أن كان قد اطمأن على سير الأمور على أحسن حال، وبدأ يهتم بمشاريعه الخاصة، ويدع أمر "علي" لزواره من أبطال المسلسلات والأفلام الذين يتوافدون عليه مساءً، فوجئ "عمر" ذات مساء بأخيه يسأله:

– من هو حاكم مدينة"ميلانو"؟ ولماذا يثور عليه "شعبه"؟ وما معنى "مظاهرة"؟

fb/mashro3pdf

الحقيقة أن أيًّا من تلك المعلومات لم تكن متوفرة عند "عمر" لحظة سؤاله عنها، إلا أنه استطاع بما أوتي من حنكة أن يتخلص من تلك الأسئلة فرد عليه قائلًا: نعم، إنه فيلم جديد، نسيت أن أخبرك عنه، إنها مفاجأة.

وعلى الرغم من اقتناع "علي" السريع بتلك الفكرة، وتقديره لها، إلا أن أخاه وجد نفسه فجأة في مأزقٍ حقيقي، فقد بدأت شبكات التلفزيون ببث ما أسمته حديثًا "نشرات إخبارية" تتضمن ما يدور في البلاد وحول العالم بكل مصداقية، وشفافية، وتحقق!

هذه المرة لم يكن للحيل العمرية أي مجال! فحتى إن هو استطاع أن يقنع رئيس الدولة بالمجيء إلى علي، والرضا التام بالحلول التي يضعها لكل مشاكل الشعب، فليس بقادرٍ على تعريفه بحاكم"ميلانو"، ولا إقناعه بجدوى التظاهر ضده!

الحقيقة أيضًا أن وعي "علي" كان قد تغيَّر ولو بشكل جزئي، فقد بدأ يدرك أحيانًا أن أبطال الأفلام لا يلتزمون بما يقوله لهم، ومع ذلك تكون مشاكلهم قابلة للحل بطرقٍ أخرى، وأن بعض المشاكل لا تحل وعلى الرغم من ذلك تسير حياة أبطالها بطريقة أخرى، قد تبدو أفضل في الحلقات التالية (بدا ذلك في المسلسلات أكثر).. وكانت جلساته مع أخيه في مساءات كثيرة تتناول جوانب من هذه المشكلات، حتى أن "عمر" أدرك أن عليًّا اليوم قد تغير.

fb/mashro3pdf

كل ذلك جعل "عمر" يفكر جديًّا في عرض الأمر على "علي" هذه المرة مباشرة، ودون استشارات طبية معقدة، سيخبره بأن هذه "الفقرات" لا علاقة لها بأبطالٍ حقيقيين، وأنها مجرد "مشاريع" (نعم حلوة فكرة مشاريع هذه) لأفلامٍ ومسلسلات قد ينجح صانعوها في تحويلها إلى أفلام أو مسلسلات (وحينئذٍ سيكون من اليسير عليك مساعدتهم) أو يفشلون في تحويلها فتظل مجرد "أخبار" أو "أقوال" في الهواء لا فائدة منها.

وبالفعل تحولت عدد من "نشرات الأخبار" إلى فيلم أو مسلسل، ولكن ظهرت مشاكل جديدة على سمع "علي" مثل "احتلال" و"مجاعة" و"فيضان"، وغيرها... وبالتالي انتشرت بعض الأفلام التي كانت تأتي بهذه المعاني، حتى يتمكن "علي" من أن يحل مشاكلها، وأخذ يسأل أخاه عن تلك المشاكل، وبطبيعة الحال بدأ "عمر" يعرفه على كيفية تكون "المجاعة"، وأمور "الاحتلال"...

شيئًا فشيئًا فكَّر "علي" بسرعة وتعرف على كيفية سد "المجاعة" وإلغاء "الاحتلال" وكسوة الناس وإيوائهم بعد الفيضانات، كانت الأمور كلها بسيطة.. واستطاع "علي" أن يساعد أبطاله على التغلب على ما يواجهونه من مشكلات.. حتى بدأ التلفزيون يعرض شيئًا جديدًا ..مختلفًا كليًّا عما سبق.

"فيلم أجنبي"...

fb/mashro3pdf

عبثًا حاول "عمر" إثناء الجهات المسئولة بالتلفزيون عن هذا القرار الخطير، والذي قد يهد في لحظات كل ما بناه في وعي "علي" وعقله من سنوات! لم يتخيل عمر للحظة أن يقف أخاه فجأة عاجزًا عن حل مشكلة من مشاكل تلك الأفلام، لهذا السبب التافه الذي جلبه المسئولون من الخارج، بدعاوي التفتح على العالم الخارجي، والعالمية والعولمة، وغيرها من شعارات بدأت تفرض نفسها على الساحة!

وكالعادة فكَّر "عمر" مليًا في حيلة، وجلس مع أخيه أثناء عرض أحد الأفلام الأجنبية، وحاول أن يشرح له كيف أن أبطال هذه الأفلام يتكلمون – بادئًا ذي بدء – لغةً مختلفة عن لغتنا، وكان "علي" قد أدرك ذلك ببساطة من "شريط الترجمة" الذي ظهر أسفل الشاشة، وبدأ يقرأه، بل تشجع وأخبر أخاه أن هناك لغاتٍ أخرى يتكلم بها الناس في مناطق بعيدة، ارتاح "عمر" تمامًا لهذا الخبر، وأضاف إليه أنه لذلك لن يتمكن من أن يحل مشاكل أبطال هذه الأفلام، لبعد أصحابها عنَّا مسافاتٍ طويلة من جهة، ولتعذر فهم لغتهم من جهة أخرى..

بدا الضيق في البداية على وجه "علي"، ولكنه يومًا فيومًا تفهَّم الأمر.

الحقيقة التي لم يدركها أحد أن عليًّا أصبح يتفهم أمورًا أخرى عديدة..

fb/mashro3pdf

بعض الأبطال بدأوا يستخفون بما يقوم به من أجلهم، ولم يخبرني "عمر" أن بعضهم الآخر أخرج له لسانه في إحدى الحلقات، ولم يستجب لنصيحته! بعضهم الآخر كان يأتي ليأكل ويشرب ويمزح معه، ثم لا يرى له أثرًا في الحلقات التالية أصلًا.

ما لم يعلمه أحدٌ أيضًا أن عليًّا تغيَّر كثيرًا...

علي لم يعد يحب "فعل الخير للغير" كما كان في البداية، "علي" لاحظ أن بعض من يقدم لهم العون والمساعدة لا يكونون بحاجة حقيقية لها، "علي" كان يعرف أنه لا يهم إذا كانوا بحاجة إليها أم لا، المهم أنه يكون "سعيدًا"، ولكن عليًّا لم يكن "سعيدًا"!

***

مات "عمر" في وقتٍ متأخر من مساء إحدى ليالي الصيف، ككل خلق الله، كان يجب أن يموت "عمر"، ويبدو لنا أنه أدرك قبيل موته بأيام أنه سيفعل، أو يُفعل به، فترك وصيته لكل من يأتي بعده، حتى يعيش أخوه "علي" ما تبقى له من عمره هانئًا مطمئنًا..

ترك لهم وصية بحروفٍ منقوشة بخط كبير وواضح:

اسمه: علي...

يحب فعل الخير، صباحًا، ويشاهد "التلفزيون" كـ"حقيقة" طوال فترة المساء..

fb/mashro3pdf

دليل الاستعمال:

أفلام عربية: يُفضل مجيء البطل الرئيس واثنين من معاونيه قبيل نهاية الفيلم.

أفلام أجنبية: يجب التنويه عن أماكن حدوث الفيلم "الأماكن الحقيقية" وشرح وتوضيح صعوبة الذهاب إليهم.

نشرات أخبار: يجب الإشارة إلى أن بعض الأخبار "عالمية" وعليه فلن يمكننا التعامل معها.

المشكلة التي لم يضع لها "عمر" حسابًا أبدًا أن مؤسسة الإعلام قررت (قبيل وفاته بأيام) المشاركة في فتح "قنواتها" للفضاء الخارجي، وعليه فلم يعد "علي" مكتفيًا بعرض قناة واحدة، ولا شاشة واحدة، وأبطال محددين، بل أصبح هناك أبطال متعددون، وشاشات كثيرة، وعدد لا حصر له من الأفلام والمسلسلات ونشرات الأخبار..

بلغنا أن عليًّا لم يصبه العجز ولا الاكتئاب الحاد، بل ولم يؤذ نفسه..

سُمع وهو يتحدث مع أحد جيرانه بصوتٍ عالٍ:

((هناك مظاهرة راقصة دبلوماسية وش بدك إنتا حرب على بغداد ما تكلمنا شوية عن تاريخك قلت لك كرة بحبك القدم لصالح الفريق مات المنافس))!

fb/mashro3pdf

يؤكد على الجميع أن أخاه لا يزال يعيش معه، ويأتيه مساءً متمثلًا دور...

مات "علي" موتًا طبيعيًّا قبيل ثورة الـ"فيديو كليب".. تاركًا بعض الحروف التي استطعنا أن نستخلص منها هذه العبارات:

– الورقة قناة "فوكس موفيز" الذي عرضتها عشية ضرب غزة حول العلاقة بين السلطة والشعب والديمقراطية!

–الفيلم التي تركه لي أخي، بعد احتدام نقاشنا لم يكن عن الحرب، ولا عن الحب، ولا حتى عن مهارات الدفاع عن النفس لم تكن تتحدث عن هذه القضية أصلًا، لماذا لم أتزوج حتى الآن على الرغم من أني لم أولها اهتمامي؟! رسائل المحمول ولم يرد فيها مسألة خياراتي الشخصية "النصـر لنـا"!

– عبارات التنديد والشجب والفيلم، والورقة، ومظاهرات البسطاء وتعاطفهم، كل ذلك جعلني أفكر بجدية: على من تعود (نـا) في جملة التي تركها فيها؟!

ما جعلنا نؤكد أنه أصيب قبل موته بلوثة عقلية!!

fb/mashro3pdf

... ما جاء في
نفي رجلٍ من العامة!

fb/mashro3pdf

ونفى ينفيه نفيًا، فهو منفي.. يقال نفيت الرجل عن المكان إذا نحيته عنه فانتفى، ونُفِيَ فلان من البلد أُخرِج منها، ومنه قوله تعالى: (أو ينفوا من الأرض)، ونَفَايَةُ الشَّيْءِ، ونَفاتُهُ ونَفْوَتُهُ: رَدِيُّهُ، وبقِيَّتُه..

عن ابن أبي مُحَمَّد عن الحافظ الزماني أنه كان يقول:

المساكين والفقراء، وبعض الأغنياء أيضًا، لم يحيطوا بالأمر علمًا، يقول: ولم أتوقع أنا نتائجه!!

كان أن قصدت التجربة فعرضت لي عوارضٌ استفزت عندي كوامن المواصلة، وشغف المتابعة لرصد التحولات والوصول إلى ما لم أكن أقصد!

حدثنا في أمر رجلٍ اختلف الناس فيه على زمانه، وقلَّ من اتفق الناس على بره وإحسانه، ولكن راعه أن يكون هو مصدر ذلك الاختلاف، أو الداعي إليه، أو المحفز على استثارة كل هذه الحكايات؛ فقال: في البدء روى ابن عليٍّ البقال، وأحمد ومُحَمَّد صاحباه، أن زوجته قتلته، وادعت وفاته لكي تحصل على إرثها منه كاملًا!! (يقول: ولم

fb/mashro3pdf

يكن ذلك شائعًا).. ولكن أكده ما رواه ابن أحمد الذي لم يعهد عليه الكذب أحد، من أنها لما عادت من مدفنه كانت تقول "كلنا لها"، ولم يشملها الحزن، يقول: وكان ذلك بادٍ عليها، فوالذي نفسي بيده لا أكذب على امرأة كانت ذات يومٍ بيننا.

وأخبرني الكوَّاء قال: ربما كان ذلك تعريضًا منه، لما ثبت تورطه في الأمر، وشعر بالتفاف الشواهد عليه، وأوَّلَ غير واحدٍ من المتكلمين حديثها على أنه إفضاء بالحقيقة، ومواساة مجردة للنفس.

وقال أحدهم – نسيت اسمه – لعلها قصدت ما هو ظاهر من الكلام، ولم تقصد ما رماها به ابن سالم – يعني الكواء – كشف الله ستره، وفضحه على لسان الأشهاد، فإنه كان يناديها باسمها غير مرة، ويبالغ في الإفشاء بما يعلم من أخبارها، وكأنها لم تكن بيننا ذات يوم، وأضاف: تعلم – حفظ الله أمرك – ما يكون في النفوس من أمور تجوس، قد لا يصلح لها إلا الوجه العبوس.

فانصرفت عنه..

رصد النتائج موصولٌ بمواجهة القصد!

لم أكن لأكترث..

قصدت صاحبنا اللواء ابن جمال الدين أبثه الأمر ملتاعًا محتارًا، وكان الرجل صديقي، أو صاحبي، فبثثته الأمر، ودفعت فضوله ليواصل الكشف.. وأتابع الاستمتاع.

fb/mashro3pdf

ليس أكثر من المقولات المجانية في شعبٍ مل مرارة الصمت!

لم يكن ذا شأنٍ أو مرهوب الجانب حتى يُخشى أن تلوكه الألسنة.

أسرَّ لي اللواء (ابن عبد الحميد) الذي لا تعرفونه، وأعلم أن امرأته حيرته كثيرًا في أمرها، فقرر أن يستغني عنها مؤقتًا، وكان طلب من أبي عليٍّ البواب (وهو غير البقال صاحبنا) أن يبحث له عمن يثق في أمانتها، ونزاهتها، حتى تقوم له بشؤون المنزل، وعرفت ذلك عنه فأسررته، حتى أتيت له بواحدة، فكنت عنده صاحب فضل، ومكانة، وحظوت من يومها على بعض مما أسر به إليَّ، ولم يفض به إلى غيري، وكنت أحرص – كل الحرص – على ألا أبديَ اهتمامًا بما يقول، فكان يخبرني بشؤونه الخاصة، وكأنه يحدث نفسه، أقول فأسر لي فيما بعد أن لهذا الرجل شأنٌ غريب، فاستأذنته أن أقوم ببعض الجهد عنه في سؤال الناس، وأنهم بعدما رأونا متلازمين، ربما شكوا أني مثله، ففتح لي ذلك مجالًا لاستبطان الخبر.. لم يعترض، تبسم، ورشف رشفة من مشروبه الغريب، وقال لي: تحرَّ الدقة.

كان رجلًا شديد بياض العين، شديد سواد الشعر، ... في الأصل لم أنوِ به شرًّا.

لكنه استفزني بما كان يقوم به كل ليلة، وكان أول الخبر أن علمت أمر زوجته، فاشتد حنقي عليه، وأحببت أن أعرف طرفًا من خبرها.

fb/mashro3pdf

وحدَّثتني عنها من شعرت بصدقها، لا لجمالها الأخاذ أو لقدها المياَّس فحسب، بل للمعةٍ في عينيها لمحتها وهي تروي، واسمها (سكينة أو نفسية فيما أذكر)، قالت: كنت أسمع لهم بالليل هسهسةً وبالنهار ضجة وضجيجًا.. والضجيج أعرفه، فسألت ابن عبد العزيز جار أم أحمد عما يسمعه منهم ليلًا، فتبسم وقال: ينام الناس وأذكر الله؛ فيصرفني ذكري إياه عن سماع ما سواه، اذهب إلى أم الجود تقص عليك الخبر كله.

توليت عنه، وكل همي أن يفضي أمر الرجل إلى الإذعان بعد الكتمان.. قررت أن أذهب إليه، قبل أن أستطلع باقي الخبر..

لم أكن أطعمه، ولا أسقيه، هذا يومنا الثاني معًا، كان لا ينمو أصلًا، يبسم إذا تبسمت، ويغض الطرف إذا غضضت، لم يتبرم قط! وكأنه اعتاد !!

كان الإرهاق والجهد أكثر ما يبدو عليه، حتى أنه ذكَّرني بأيامٍ لي خوالٍ كانت هيئتي فيها تشبه حاله!

جلست إلى "أم الخير"، وهي امرأة عجوز أصابها الدهر في كل ما عدا ذاكرتها بأرزائه، فقالت: ائتني أعلمك خبره: إنه كان أول أمره غريبًا عن أهل المكان، ولم يكن أحدٌ فينا إلا يهابه منذ سمعوه يتلفظ بنحو "صباح الخير" و"نهاركم سعيد"، حتى نفر منه الخاصة والعامة،

fb/mashro3pdf

وأخبرني أبو العيال أنه ربما يكون مبعوث أحدهم إلينا، وقانا الله وإياك الشر.

ولا أخفيك يا ولدي (أو قالت يا بني) أنهم يروون عنه أنهم ما اقتربوا منه إلا يوم عطس بالسوق، فحمد الله، فشمَّته كثيرٌ من الواقفين، وسار خبره كإعلانات هذه الأيام: "أن عطس صاحبكم"، أو "حمد الله فزوِّجوه"! والحق أنهم لم يكونوا ليأمنوا الرجل على زمني إلا إذا كان بينه وبينهم نسبًا وصهرًا، أيامها يا بني! فقرروا تزويجه منها، وكانت يومذاك فتاة قليلة الحظِّ من الجمال، ولكنه استقر إليها وسكن، سكون الماء في النبع الزلال.

وصدقني ما يحدثك أحدٌ من أمرهما فإنهم يكذبون، وإنما اقصد الثقات، وإياك والدهماء، والباعة الجائلين، وأرباب المصالح، فإنهم يلوكون أخبار الناس بأشداقهم، والأمر في كل الأحوال لا يهمهم!

ثم أطرقت مليًّا وقالت: نعم قتلته، ولكنه قتلها قبل ذلك سبع مرات، فاسمع مني يا بني وتعقَّل، ليس الأمر ما يدركه أصحاب الشرطة، ولا رجال أمن هذا الزمان، الأمر ملتبسٌ وخطير، إنك غير واجدٍ دليلًا على صحة ما أقول، ولكني أخبرك يقينًا لا شك فيه، أنه في الليلة السابعة من زواجه خرج فلم يرجع إلا مع تنفس الصباح، وضاقت زوجه بذلك كثيرًا، وحدثتني أن رائحة فمه كانت أنتن من ريح

fb/mashro3pdf

الخنزير، وأنها لما سألته عن ذلك لطمها على وجهها حتى سال الدم من بين أسنانها.. وأنه كان...

فسألتها: وهل تَقتل كل امرأة تُضرب يا جدتي؟ فقالت: لم يرد في ذلك نص يا ولدي، ولكنهم خبروه عن جداتهم، أن كرامة المرأة أعز عليها من مالها وولدها والناس أجمعين، ولما كان ذلك الرجل غريبًا لم تقصد إيذائه، ولكنه تجرأ، وأتى بالمنكر إلى صحن دارها، وقال لها اشربي، وارقصي، فجن جنونها – المسكينة.

***

شككتُ أنها قتلته قبل أن أصل إليه، ولما حدثتني حديثها ذلك فزعت – والحق، فعدت مسرعًا إلى مكاني أتأكد من استقرار مكوثه، واستمرار مفعول المخدر على أجزائه وسكونه.

حرت في أمره أكثر، ولم يكن يشغلني أمر رجل قدر ما فعل هذا.

كنت أضعني أمامه، وأحرك له أطراف يدي وأصابعي، فيظل على سكونه، أحاول لفت نظره بما أفعل، فلا يضيق، شككت أأصمٌّ هو أو أعمى، كل الأخبار المتواترة عنه تقول أنه كان صحيحًا سليمًا، لا يشكو علة، وإني ما أقدمت على فعلتي هذه إلا لما رأيت من نشاطه، وربما ضقت ذرعًا بحركته ولكنه الآن على غير ما عهدت، وربما على غير ما ألفوا!

fb/mashro3pdf

وكانوا حدثوني عن آخر، يحفظ الأسرار فقلت أقصده، فقال لي: لا أروي لك عني، فإني قد تغيبت فترة الحرب كلها، ولا أعلم من أمر كل الناس شيئًا، ولكني محدثك عن ابن عمران عن أبيه عن جده أنه قال: لم يكونا على اتفاق، وهذا ليس بخللٍ فيهما، يرحم الله أحياءكم، وإنما لعلةٍ طرأت بين آبائهما، لم تكونوا حاضريها.

فاستوقفته أن الرجل "غريب" فقال كذب من ادعى، وإنما لآبائه أصل في الناحية، ولأمه نسبٌ هنا قديم، قلت: ومن أين لي أن أدرك الحق، قال اسمع مني، سكتُّ، فقال: إن جده كان صاحب دكانٍ آخر الشارع، وإنه أشرف ذات ليلة على بيت جاره، يستطلع خبر اختفائه، فطلعت عليه امرأة لم ير في حسنها قط، وكان أن صُعقَ فمات، على مرأى من الأشهاد، فاستعلموا خبرها، فعرفوا أنها ربيبة جارهم، وسكتوا عن الأمر أيامًا، ولكن (يا ولدي) ظلت وفاة الجد حاضرة، حتى برقت السماء يوم زواج الأحفاد، ولم ير البرق غيري، أنا وابن شاكر صاحب المسجد.

***

طال أمده عندي، وأردت أن يستدلوا على مكانه دون أن أحيطهم بالأمر، فكان أن قصدت من توسمت في ملامحهم شقاوة الصبيان، وجمعتهم، فاجتمع لي ذات ليلة 10 صبيان، لا أنسى أسماءهم لفرط ما هي متداعية: مُحَّد، وأحمد، ومحمود، وحامد، ومصطفى، و"عبدو" وهو

fb/mashro3pdf

أصغر منهم، وذا بسمة رائقة، فهؤلاء ستة، وأدهشني أن أجمع كريمان، وحسنان، وكانوا يميزون بينهم بكريم الأبيض، والأصفر، أما الحسنان فأحدهما أطول من الآخر.

قصدتهم جميعًا ذات ليلة، فأخبرتهم أن صاحبهم عندي، فنظروا جميعًا لي شذرًا، وتفرسوا ملامح وجهي، وكأنه يرون فيها صاحبهم، حتى قال محمود: لا أعلم غيرك في المكان يا عم، فأخبرنا بما تريدنا نفعله في الحال!

فأخبرتهم بمقصدي، ودللتهم على مكانه، فقلت بثوا بين أهل الحي أن قد رأيتموه، وأنه موثق بحبال خفيفة، وائتوني بالخبر، أيسِّر لكم التتمة، ولكم عندي كل ما تطلبون.

تصايحوا: الغداء يوم وليلة، سفرة عامر بأطايب الطعام، لا! نريد أن نتقاسم خروفًا، اجلب لنا شيئًا من عندك.

قلت: لا عليكم، سيحصل كل واحد منكم على مبتغاه، ونلتقي بعد الجمعة.

وإني لو أقسمت الآن بيني وبيني أني ما قصدت ما كان، ما صدقتني، فكيف أمل تلك الحكايات، ومعرفة كل هذه الأمور والمخابئ عن شخصٍ كان بين ظهرانيهم ذات يوم، وكل ما أهمني في أمره حسدي إياه لما كان عليه، وأيقنت أن من حكمة العليم الخبير وجود ظاهرٍ وباطن، وحمدته – جل في علاه – أن لم يكشف ستري، ولم يذع على

fb/mashro3pdf

الناس أمري، وإلا لاكتني الألسنة والتهمني الناس التهام الذئب غزالة شاردة!

حتى الصبيان، لم يبرأوا من إدهاشي بما فعلوا!

كان أن جلست في أحد مجالسهم المنصوبة في الشارع، أتسمع بعض الخبر، فهالني إسرار أحدهم بأنه علم من مصادر يدعوها بالسرية، أن الرجل حيٌّ يرزق، وأنه بمكان كذا وكذا، وأن ابنه أخبره بأنه يأتيه رجل أسود بالغذاء والماء كل يوم، عند التقاء الخيط الأبيض بالخيط الأسود، وآخر يؤكد أن رآه، ويسر لي ويداه ترتعشان ألا تحدث الناس كي لا ينتقم منك، فإن انتقامه شديد، لقد جئته وحدثته أن يعود، فلم يكن منه إلا أن سلط عليّ – يزعم – صبيًّا صغيرًا، يأخذ قوت يومي!!

وعلمت فيما تلا أن أحدًا لن يتحرك منهم من مكانه إليه، لأنهم شعروا من تناقل أخباره بأنه ذو كرامات، ولا يستبعد (ابن شاكر) أن يحصل على إذنٍ من الأهالي قريبًا بنصبه وليًّا من الصالحين، خاصةً أنه مضى على اختفائه أربعين ليلة!

في نهار اليوم الحادي والأربعين عدت إليه، لم تتبدل هيئته، وبدأ الشك يتسرب إلى نفسي أيضًا، ما هذا الرجل؟ كنت كلما تفرست ملامحه رأيته يحظ عينيه إليَّ أكثر، همست إليه: انتهى أمري معك، عد إلى أهلك، وقومك.

fb/mashro3pdf

تحركت شفتاه بكلماتٍ لم أسمعها، بعد قليلٍ سمعت صدى صوتي..
ثم إني لم أر له أثرًا!

وكان يختم حديثه بقوله: لم أحدثكم عن الأمر الذي استفزني من حاله، فجعلني احتجزه عندي في البدء، وأعرف عنوانه فيما بعد، وأتسقَّط أخباره حتى يشملني الأمر هكذا، لكن اختفاءه على هذا النحو، سيجعلني أعدل عن هذا كله!

fb/mashro3pdf

ثباتٌ ... نسبي

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

ليس كل يوم، في المرة الأولى تجاهل الحلم تمامًا، في المرتين التاليتين حاول استحضاره، لما أصبح الأمر يوميًا بدأ يسجل/ يدون ما يتذكره.

في العام التالي تكررت نفس الأعراض، وإن كان تغير حالته عارض على الدوام.

عندما حكى لصديقه أمر حلمه المتكرر، لم يهتم، وضايقه ذلك في نفسه، وأخذ يفكر كثيرًا، لم يؤمن أبدًا بتفسير الأحلام، ولكن تكرار المشاهد، والصحو المفاجئ عند مشهد بعينه، جعله يفكر كثيرًا!

عندما ذهب للصيدلية لشراء دواء "منومًا" كان أول سؤال سأله له الطبيب، أو الصيدلي: هل تعاني من كوابيس؟

تعجب من السؤال وتهرب منه معًا، قال: لا.. أحيانًا!

***

حسنًا...

fb/mashro3pdf

لم أحب استخدام ضمير المتكلم في هذه القصة..

أنا لا أخشى أحدًا، والكتابة الأدبية لا تشترط أن تكون الأحداث متخيلة، كل ما في الأمر أنك حينما تصوغ شيئًا من خيالك، يصدقه الناس باستخدامك للغتك!

أصبح الناس إذًا يصدقون الكذب أكثر من تصديقهم للحقيقة!

أو ربما يميلون لمتابعة سردك بشكل أفضل إذا كان عن آخر، أو أخرى، مما لو كنت تتحدث عن نفسك!

بل وكلمّا أوغلت في الخيال وصار ما تحكيه بعيدًا عمّا يعرفونه عنك – لو كانوا يعرفونك – لكان الأمر بالنسبة لهم أكثر إثارة!

وأذكر أني عندما ذكرت حلمي الأخير هذا أمام ناشرٍ (أصبح مشهورًا بيننا مؤخرًا) لفت انتباهي لأمر خطير، قال لي: لماذا لم تكتبه في "قصة"؟

أجبته: لو أن كل حلم أحلمه، أصحو فأكتب قصته، لكنت قد كتبت الآن 5 مجموعات، وروايتين على الأقل!

ولكني أعلم أنه بعد تخطي فكرة "الكتاب الأول" يحدث للكاتب منّا "ثباتٌ نسبي" (أعجبني الاسم بالمناسبة فجعلته عنوان القصة، شكرًا لتقبلكم) فلا يفكر في أمر تالٍ أكثر من تفكيره في استثمار نجاح السابق.

fb/mashro3pdf

ولكني أعرف – أيضًا – أني أحلم كثيرًا، بل أحيانًا أغمض عيني وأحلم حلمًا طويلًا! الحلم جميل.

وأنا قلت في نص سابق إن "أول خطوة لتحقيق الحلم الاستيقاظ من النوم".. والحقيقة أنني في اليقظة لا أحقق أحلامًا.. بل أفكر في الكوابيس كثييييرًا!

سأحكي لكم حكاياتي الشخصية:

لماذا تعتقدون أن حكاياتي المتخيلة أفضل، أو أحسن من حكاياتي الحقيقة؟ ربما يكون العكس.

أتودُّون أن تعرفوا سر الحكايات/ القصص السابقة كلها، وتنتهون إلى أن الكاتب كان يقصد كذا وكذا.

في الأصل أنتم تحبون القصص، وأنا كذلك، فاسمحوا لي أن أحكي حكايتي الشخصية...

مممممممممممم..

القصة الأولى كتبتها أثناء...

لا!

لا يصح، هكذا أضيّع أجور الصحفيين، وفرص تسجيل الحوارات، والكشف عن أسرار قد تبدو خطيرة أو مهمة!

fb/mashro3pdf

هل قرأتم (المسحوق والأرض الصلبة) كاملًا؟!

ألا تعرفونه أصلًا؟

توجد صفحتان في آخره..

ماذا كتبتم فيهما؟

حتى هذه المجموعة، سأترك لكم فيها صفحات مماثلة، لتمارسوا هواياتكم جميعها ☺.

هل أروقكم الآن؟

هل أصبح كاتبكم المفضل؟

هل سيجعلكم ذلك تغفرون لي، وتسمحون لي بأن أحكي قصتي الشخصية، ولا تتهموني بإضاعة أوقاتكم؟!

أوقاتكم أصلًا ضائعة منذ قررتم ممارسة ذلك العبث.

***

نعود لقصتنا:

أخذ (البطل الافتراضي) المنوم من الصيدلي، وعاد لمنزله، الحقيقة أنه اكتفى بوضعه على الطاولة أمامه، ولم يأخذ منه شيئًا!

قال لنفسه: سأعد نفسي لاستقبال الحلم هذه الليلة بطريقة أفضل...

fb/mashro3pdf

غسل وجهه جيدًا، ونظر في المرآة، وسوَّى شعره (في داخله قرر أن يحلق شعر رأسه غدًا، بعد أن تذكر أن اليوم الاثنين).

ذهب إلى سريره، شغل الراديو على موسيقى هادئة!

تذكر أن ذلك قد يجلب الشياطين..

أغلق الراديو...

أخذ يفكر فيها متعمدًا، ويتخيل أنه يحتضنها، مممممممم، ويقبلها...

تبسم لما تذكر ضحكتها الرائقة، وعينيها الجميلتين...

ونام

لما استيقظ اكتشف أنه لم يحلم مطلقًا!

***

وأنا لا أحب الذين لا يحلمون، مجازًا أو حقيقة لا يوجد فينا من لا يحلم! الفرق بين الحلم والحقيقة.. شعرة.

الفروق بين الحلم والحقيقة ثلاثة:

1. للحلم منطقة الخاص، بمعنى أنه قد يكون غير منطقي بالمرة، ولكنه يحدث!

2. زمن الحلم لا يتعدى الثواني، في حين تستغرقنا الحقيقة سنوات!

fb/mashro3pdf

3. يمكنك التخلص من الحلم بشيءٍ من اليقظة، في حين يستحيل أن "تتخلص" من الحقيقة أو الواقع!!

ومواصلة الحديث على هذا النحو ستنفِّر القارئ والمستمع على السواء وأنت بحاجة طوال الوقت لشد انتباهه وجذب شعوره!

في الانتقال بالأحداث، وله تقنيات عديدة منها وأشهرها المفاجأة.. كأن تحكي فتقول، أو تحكي فتصمت...

***

في الأيام الثلاثة التالية كانت التجربة أقسى، ولكنه شعر بالثبات أكثر..

الصمت.. ليس غير الصمت المطبق.

الصمت المطبق، ثم اللامبالاة.

عدم تحريك الشفتين مطلقًا.

ولا يتهته.

وكانوا يسألونه.. واستطاع ألا يجيب!

***

في الأحلام المنطقية – وأكثر الأحلام لا يكون كذلك – يمكنك أن تتكلم أو تهمس.. ولكنك في الحقيقة لا تمكِّن أحدًا من سماعك،

fb/mashro3pdf

وتتقلب، وقد تصدر عنك بعض الأصوات، القليل منها فقط هو الذي يرتبط بحلمك في نومك! هذه التجربة الحلمية النومية جعلته يحاول أن يفعل ذلك أثناء صحوه.

في الحقيقة لم ينجح تمامًا!

ولكنهم يقولون أنه لم يفشل أيضًا!

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

حدس

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

حاول مرارًا أن يسبر أغوار نفسه، سعى في شتى السبل، س ئم من سيره سادرًا في غيه، سولت له نفسه أمورًا شتى، سار كثيرًا على غير هدى، أحس أنه كمن يسبح في سراديب سرية مجهولة.

كان سَمح الخلقة، سهل الطباع، سلسًا في التعامل، لين الجانب لا يتسلل إلى ما لا يعنيه من أسرار الآخرين، ولكنه سمع في ساعة من ساعات سهوه ونعاسه، سمع وسوسة وهسهسة، استعاذ بالله من الوسواس الخناس، لم يكن من عادته أن يسأل الناس، حاول أن يسلم لنفسه القياد.. سار كثيرًا على غير هدى.. تراءت له السحب من بعيد في السحر.. فسعد بها وتمنى لو استطاع أن يسجن نفسه مع سرب الطيور المحلقة.

سمره مع أصدقائه ولياليه التي قضاها في سهاد طويل.. تراءت كلها له سوادًا قاتمًا.. سلَّ سيف نفسه من روحه المضطربة.. وقرر السفر.

لم يكن سفره أسعد حالًا من سكونه، واستقراره، كان سيد قومه،

fb/mashro3pdf

فما الذي يسعى له من مسيرة سبع ليال سوداء، لا زاد معه فيها ولا ماء؟! سره أن لمح سوادًا من بعيد.. أيضًا ما كاد يقترب حتى تسنى له أن يسري عن نفسه بالمشهد.. كانت ساحة شاسعة محاطة بسور سقيم.. ود لو تسلقه، ولكن نفسه أبت الإسراف في السلوك.. سار حتى لفت انتباهه مرأى سائر من بعيد.. سلك طريقه إليه.. تبينه فإذا هو كلب يلهث.. يسير بصعوبة.. سَرَّه أن يسقيه.

فوجئ بانسكاب دموعه.. انتابته حاله من الاستغراب المشوب بالتعجب ..تحسر على سالف سنينه التي أحس أنها سرقت منه، وكأن هناك من استلَّها منه على الرغم منه.. استرسل في المسير.. أحس بسموِّ نفسه بعد سويعات.. أحس بسموق روحه.. وسمع تلك الوسوسة من جديد.

استسلم من جديد...

استرجع ما أفاض الله به عليه من نعمة "الستر بالليل والنهار".. سبَّح ربه كثيرًا ثم سجد لله شكرًا.. كان كالمسافر بين ظهراني سفينة لا يدري متى ترسو به على ساحل السلامة. . أو كالسلعة التي يبيعها النخاس في سوق لا يرجو إلا سعرًا كبيرًا في بيعها.

سار حتى أحس بانقطاع أنفاسه.. وسلامة سريرته.. سواسية.. ما فتئ أن سكن إلى سكون الليل.. أحس برغبة في سبات عميق.. لم يدرِ بعدُ ما سبب كل ذلك ولكنه سكن فجأة، وأسلم روحه لبارئها.

fb/mashro3pdf

قطةٌ في المقهى..

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

حسنًا، هي التي بدأت اللعبة، عليها أن تصبر حتى تنتهي!

الإرهاق الذي يصاحب في العادة نهاية اليوم لم يعد أمرًا جديدًا، وجلوسي على أقرب كرسي في المقهى أصبح أمرًا معتادًا، بل ومملًا في الآونة الأخيرة، ولكن كسر حالة الملل تلك ينبغي ألا يتم من خلال قطة!

كعادة قطط المقاهي (كما سيسمونهم إن اهتموا بالأمر) أخذت تحوم حول الكرسي، وكدت أقسم لها أنني لا آكل هنا، على الأقل الآن، قد آتي فعلًا بساندويتشات من عند (عبده الحرامي) وآكلها، ولكن هذا لا يحدث في الظهيرة أبدًا، بل لا يحدث وأنا بمفردي غالبًا، وهي كقطة مملة كان ينبغي عليها أن تلحظ هذا، فليست المرة الأولى التي أراها فيها، وليست المرة الأولى التي أضربها بمؤخرة حذائي، وليست...

ولكنها كانت سخيفة هذه المرة!

fb/mashro3pdf

أعترف بأنها تكون كذلك دومًا، فأنا لا أحب القطط، ولكنها هذه المرة كانت الأسوأ على الإطلاق، هل وصل بها الحد إلى درجة أن تلعق حذائي! هذه قطةٌ غريبة بالتأكيد!

لاحظ الجالسون بالقرب مني على الفور أنها استفزتني، لأني نهرتها بصوتٍ عالٍ وكأنني أحدث شخصًا أمامي، لا شك أن بعضهم قد جال بخاطره أني مجنون، "كريم" فقط هو من ابتسم:

- أعصابك يا باشا، دي ميمو.. قطتنا.

- مستفزة قوي يا كريم.

- شايك.

- تُشكر!

الأفكار الشيطانية الأولى أن أغسلها بكوب الماء فورًا، ستهرب وتموء بعيدًا عني.

- باين عليها ارتاحت لك..

ويبتسم، ذلك الصبي السخيف، كل ما فعلته أن دارت دورة كاملة حول الكرسي، فيما أنا أتناول منه صينية الشاي، وعادت مرة أخرى!

فكَّرت أن هذه القطة يجب أن أتعامل معها بطريقة مختلفة "تقطع عرق وتسيح دم" بدون أن أثير حولي الشبهات، تجاهلت وجودها تمامًا، وأخذت أرشف من كوب الشاي على مهلٍ.. وأفكِّر!

fb/mashro3pdf

هي أيضًا كانت تقول إن الراحة التي أحست بها معه لم تشعر بها مع أيٍّ من رواد ذلك المكان ولا الأماكن المجاورة كلها، وحتى هي كانت تجهل السبب! قطعًا ليس حذاءه، وليست طيبة نفسه، هي تتعامل مع الأقدام كغادية ورائحة من أمامها، وتعرف إن كان هذا مقبلًا فتنظر إليه، وإن كان ذاك مدبرًا فتعرض عنه، كثيرون يقتربون بوجوههم الكبيرة المفزعة، البعض يبتسم والبعض الآخر يتجهم، يقذفون لها بقطعة مرة وبحجر مرات، لم تكن فعلًا تنتظر منه الكثير، ولكنها أنِست.. إليه!

تبدأ جولاتها الصباحية بين أبواب العمارات بسرعة، تتفقد تلك الأكياس المتكومة بغير اعتناء، تتشممها فربما عثرت في أحدها على وجبة الصباح التي لم تكن تغنيها عن الدوران حول المقاهي كالصعاليك!

لم تكن تحب الاستجداء أصلًا، كانوا أخبروها أن أجدادها ذوي خطر وسلطان، وأن بإمكانها أن ترعب هؤلاء الآخرين بموائها المتواصل، ولكنها كانت تنتفض بمجرد أن يقذفها أحدهم بحجر وتركض بعيدًا، الأصغر سنًّا كانوا أكثر من يلحق بها الأذى، رغم أنها كانت تراهم الأكثر ضعفًا من أن يفعلوا ما يفعلونه.

تذكر أحد الصبية الذين اقتربوا منها، كان يمسح للناس أحذيتهم كثيرًا، راقبته أكثر من مرة، وإذا به ينظر إليها في مرة من المرات

fb/mashro3pdf

ويهديها فتات خبزٍ يابس ويناديها "بس.. بس".. فتقترب منه أكثر.. وتأخذ فتات الخبز بأظافرها النحيلة، ولكنه فجأة فزع منها وركض بعيدًا!

الوحيد الذي لم يفزع، ولم يقترب بوجهه منها، ولكنه كان يبعدها بحذائه رجل المقهى ذاك...

***

القطة التي يتلبسها جني يمكنك أن تتخلص منها بالاستعاذة بالله من الشيطان، ولكن الشيطان أو الجني ليس ساذجًا ليختفي فجأة، سينسحب بهدوء حتى يغيب عن ناظريك، لا تراقبه، الجن في العادة لا يحبون المطاردات البشرية السخيفة سرعان ما يتخلصون منها وبطريقتهم الخاصة.

بدأت أخشى منها حقًّا، حتى أني فكرت ألا أجلس على هذا المقهى، لا سيما أنها كانت مستمرة فيما تفعله، في كل مرة، بمجرد أن أجلس تقترب، تدور، تلعق حذائي، أحاول أن أطردها لا تمل!

جربت أن آتي المقهى في أوقات مختلفة، وفي أيام الإجازة أيضًا بنفس الإصرار، وكأنها لا تعرف غيري هنا!

بدأت أتأملها عينيها الخضراوين المرعبتين فروها البني المخطط السميك، تبدو كنمرٍ صغير.. يوشك أن ينقض عليَّ.

fb/mashro3pdf

أعترف أن تفكيري في القطط تحول إلى هاجسٍ يومي!

لم يكن من عادتي أن أقلب في الصحف، ولكني أؤمن بالمصادفات، لفت انتباهي في الجريدة التي يطالعها الجالس بجواري مقالًا بالبنط العريض، مقال كأنه كتب لي خصِّيصًا اسمه "القطط":

((وللقطط قدرات جسمانية خاصة منها القدرة على الإبصار في الضوء الخافت بدرجة أفضل من الإنسان، وربما لهذا السبب أطلقوا على الأنوار الصغيرة التي توضع على الطرقات السريعة اسم «عين القطة»، ولو نظرنا حولنا لوجدنا أننا نستخدم القطط في كثير من مفردات حياتنا.. ولو كان البعض ممن ينسون الجميل وكم هم كثر ويحيطوننا يوميًّا يقال له «أنت كالقطط تأكل وتنكر»، وعندما كنا صغارًا كنا نلعب «القطة العمياء» لست أدري لماذا العمياء قطة وليست كلبًا أو أرنبًا أو عصفورًا؟ والفراعنة قدسوا القطط وخاصة نوع «الماو»، وهي سلالة لا تزال موجودة حتى يومنا هذا، مرقطة الجسم وصغيرة وتجدها في شوارع القاهرة، وكان الفراعنة يعتقدون أنه من الذنب أن تجرح أو تصيب هذه القطة، لذا قدسوها وعبدوها وصوروها على معابدهم...))*.

كنت أحاول أن أتشاغل عنها كل مرة فعلًا، لكن شيئًا لا يتغيَّر، لقد عرفتني من رائحتي، ربما من مظهري، من شكل حذائي حتى!

---

* المقال لرولا خرسا.. بتصرف عن المصري اليوم.

fb/mashro3pdf

حسنًا كان من الممكن لكل هذه الأشياء أن تتغير، ولكن هذا ما لا أفعله!

هي التي بدأت اللعبة وعليها أن تستمر حتى تنتهي.. أو أقضي عليها تمامًا...

هذه القطة.. ينبغي أن تموت!

قررت ذلك مبكرًا، ربما لم يتم الأمر بسرعة، ولكنهم سمعوا صراخي في ليالٍ عدة، كنت أقوم فيها فزعًا من كوابيس عديدة، كانت تطاردني في يقظتي ومنامي!

* * *

لم يشكُ رواد المقهى من القطط.. كانت سوء الخدمة هي شكواهم، وارتفاع أصوات بعض الرواد بالصراخ مرة وبالضحك الصاخب مرات!

كريم "صبي القهوة" لاحظ اختفاء عدد من الزبائن المعروفين بعد فترة، وكان يتندر مع أصدقائه بأن "اللي بيعلي صوته في القهوة دي ما بيعمرش" ما عدا واحدًا!

fb/mashro3pdf

الذي سـافر.. وعاد!

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

إهداء صغير: إلى عزيزي بيـل جيتـس

***

عندما أخبرتني أختي الصغرى التي تعيش في أمريكا منذ أعوام أنها قابلت ابنة "بيل جيتس" في البداية لم أصدقها أبدًا، ولكنها أكدت لي أن هذا حدث، وبمحض الصدفة، فتملكتني حالة من الضحك الهيستيرية، وتركت جهاز الكمبيوتر وأخذت أتقافز كالمجنون.

بعد أن هدأت قليلًا، شغلت الـ"مايك" فلم يكن بإمكاني أن أكتب وأنا بهذه الحالة، قلت لها احكي لي بالتفصيل، كيف، وماذا قلتِ لها؟ فوجئت بأن الأمر منذ فترة، وأن انقطاعي عن الإنترنت في الشهر الماضي هو الذي منعها من أن تحكي لي التفاصيل مبكرًا..

كنت أتمتم "الخيرة فيما اختاره الله".

أخذت أهدئ من نفسي، وألم شتاتي، وأقول لها:

– واحدة واحدة الله يخليكي، إنتي قلتي لها إني مهندس كمبيوتر، قالت لك إيه؟

fb/mashro3pdf

ويأتيني صوتها الذي أحبه كثيرًا، ولكنه متقطع:

–أيوة، أيوة يا مصطفى، قلت لها إنك بقى لك 10 سنين في المجال ده، وإن مش من أحلامك تيجي ولا حاجة، بس هيا بتقول... سامعني؟

قطعًا كنت أسمعها جيدًا.. ولكني أدور حول نفسي.. وأتذكر الرسالة مرة أخرى...

(بيل جيتس بيفكر يجيب مهندسين مصريين، عندك استعداد؟)

ساعتها كنت أغط في نوم عميق، ولم أصدق الرسالة قطعًا، ولكنها أزعجتني كثيرًا، بعدها بأيام انهمكت في العمل كالعادة، توريدات ومتابعة شركات، أنظمة تتعطل، وأجهزة تستأهل الحرق... حتى جاء ذلك اليوم...

***

اسمه: مصطفى خطاب

حاصل على بكالريوس هندسة اتصالات من جامعة القاهرة عام 1990.

لم يكن له أي نشاط طلابي واضح.. كانت غاية أمانيه أن تساعده تلك الكلية على أن يجد وظيفة في المجال الذي أحبه مؤخرًا، حتى يتمكن من الزواج من البنت التي أحبها مبكرًا جدًّا.

fb/mashro3pdf

نسي الجهاز المركزي، وأجهزة أمن الدولة كلها أمر والده منذ لاحظوا اهتمام الابن المطلق بـ"تكوين نفسه"، وانغماسه في العمل حتى أذنيه.

تزوج من حبيبته في وقت قياسي، وتمكن من تأجير منزل (إيجار قديم) في "العباسية" في منطقة وسط بين أهله وأهلها.

كانت حياته تسير على وتيرة واحدة، متقاربة، وكان ينتظر طفلًا.. حتى جاء أمر السفر!

كانوا يراهنون على أن استقراره في العمل، ووضعه النواة الأولى لشركته الخاصة سيجعله يلغي موضوع السفر هذا تمامًا.

فوجئوا به في صالة المطار مثلنا تمامًا!

لم تكن لدينا أوامر مباشرة بمتابعة تحركاته في أمريكا.

***

استغرقت مهمة إنهاء الورق اللازم للسفر ثلاثة أشهر، كدت أجن، وكادت زوجتي أن تلعن "بيل جيتس" هذا وكل من يعمل عنده، بل وصل بها الحد لدرجة أنها كلمت أختي لتثنيني عن هذا القرار، فيما أؤكد لها أنها "طاقة القدر، انفتحت لنا! وأنها ما هي إلا أيام وأكون قد أتيت لها بتأشيرة للحاق بي".

fb/mashro3pdf

كانت أسخف ثلاثة شهور أقضيها في القاهرة، بين السجلات المدنية والموظفين والعمال، والعواطلية، وبين أبواب السفارات، والجوازات، والرشاوى والأختام والطوابع...

لم أصدق نفسي وأنا على متن الطائرة.. لقد انتهى كل شيء، وبدأ الحلم في التشكل...

عندما وصلت لأمريكا تنفست خمس مرات، كدت أن أسجد لله شكرًا على أنني عشت حتى أرى هذه الأرض الـ... الأمريكا.

الهواء نقي جدًّا، الأرض واسعة ونظيفة، وجوه الناس غريبة بعض الشيء، لكني كنت أتبسم لهم أيضًا.

نسيت أن أخبركم أني في تلك الشهور أيضا أخذت أجمع معلومات كبيرة وموسعة عن "بيل جيتس" وشركته (مايكروسوفت) التي كنا لا نعرف عنها إلا أنها صاحبة أهم نظام تشغيل في العالم.. أدين لهذا الرجل بالكثير، قابلني بحفاوة لم أتوقعها أبدًا، والمشكلة أن ابنته كانت جميلة، وتحب "إيجيبت" جدًّا جدًّا!

***

مُحَمَّد أكمل هذه الجملة:

((لو كنت مكان "بيل جيتس" سوف ...))

fb/mashro3pdf

لم أكن مكان "جيتس" ولا يمكنني أن أتخيل نفسي مكانه، ولكنهم الأمريكان، يتميزون عن غيرهم باحترام المهارات الفردية الخاصة، بدأت في التعامل معه بعرض مهاراتي وقدراتي التي تعلمتها ذاتيًّا على "الإنترنت" وحاولت أن أعرفه عن قرب على طريقة تعامل المصريين مع التكنولوجيا، كان التعامل بسيطًا أيامها، ولكنه كان يتقبل ملاحظاتي كلها بصدر رحب، بل وفاجأني بأنه يعلم أن النسخ التي تعمل عليها أجهزة الكمبيوتر في العالم لا تعتمد على النسخة الأصلية من برنامجه ويندوز!

ثلاث سنوات من العمل المتواصل في أمريكا، تغيرت فيها الكثير من مفاهيم الحياة والعمل في رأسي، امتلأت بالطريقة الأمريكية في التعامل، والتكنولوجيا والمعلومات.

في بداية عملي مع "بيل جيتس" وشركائه كنت أحب أن أفاجئه دائمًا، لا أخبره بأمر الصفقات التي اتفقت عليها مع العملاء، ثم أجعله يُفَاجَأ بها، كان يتقافز فرحًا وتملأ الابتسامة وجهه، ويقول لي إنه يحبني جدًّا، ويشعر أن المصريين لهم فضل عليه (كدت أن أقول له إنك لا تعرف سواي).. ولكن الحقيقة أنه كان يدرب نحو ألف متدرب (اكتشفت ذلك متأخرًا).

شيئًا فشيئًا أصبحت أتعامل بنفسي مع كبرى الشركات الأمريكية، وكانت تفاجئني طوال الوقت طريقة تعاملهم، وحرصهم على أن يظل

fb/mashro3pdf

ما بيننا سرًّا، والحق أني تعاملت بعد ذلك، وبدون أن يعلم"بيل" مع أصحاب موقع جوجل العالمي، واستطعت أن أمكنهم من السيطرة على عدد أكبر من المواقع.

استطعت أن أجمع في فترة عملي بأمريكا مبلغًا كبيرًا يمكنني من فتح الشركة التي كنت أحلم بها في مصر، كان أصدقائي الأمريكان والمصريين على السواء حريصين على أن أبقى، ولكني خفت أن يفضح "بيل جيتس" أمري فيطردني من شركته، أو أن أحب العيش في أمريكا فأنسى القاهرة!

فجأة، وبدون مقدمات قررت العودة!

***

نعم، كانت عودته مفاجئة أكثر من قرار سفره!

ولكننا كنا قد أخذنا الحيطة والحذر، وبدأنا بمراقبة كل تحركاته.

***

عدت للقاهرة بعد سنوات الغربة أتأملها بيتًا بيتًا، وشارعًا شارعًا

لم يتغير شيء في القاهرة.

بقيت كما تركتها.

فقط المزيد من الصخب والضوضاء والضجيج!

fb/mashro3pdf

المزيد من البشر، والسيارات، والتلوث الخانق!

كنت أحكي لابن أخي الشاب عن رحلتي، فيخبرني (وهو طالب في آداب القاهرة) أن هناك ما يسمى بأدب الرحلات، أكدت له أني لن أكتب رواية أسميها عدت من أمريكا، الحقيقة أنه هو الذي اقترح أن أخط هذه القصة، والحقيقة أيضًا أن هذا أسلوبه.

كان لدي الكثير مما أحكيه، ربما يتسع الوقت فيما بعد ليسرده هو عليكم كما يشاء..

قلت له أود أن أخبر (بيل حيتس) بالحقيقة، قال لي أرسل له رسالة، ففعلت:

قلت له عزيزي بيل، الحقيقة أن ابنتك طيبة (لا أدري لماذا تذكرت هذا الأمر الآن) ولكني أود أن أعترف لك أني كنت أسعى لمصلحتي أولًا، قبل كل شيء، وإليك بيان الشركات التي تعاملت معها بدون علمك، لا أطلب منك أن تسامحني، فأنا أعلم أنك ربما لن تعير لهذا الأمر اهتمامًا، ولكني أود أن أخلص ضميري:

مرفق بالرسالة بيان بمكاتبات "مصطفى خطاب" إلى شركات (جوجل) (سمارت فيجن) (أمريكان بي سي) وأخيرًا الصفقة التي شككت في أمرها كثيرًا.. ((هوت بوكس)).

جريدة الأهرام عدد **45230** الجمعة **2020/10/5**

fb/mashro3pdf

بيل جيتس يزور مصر

... هذا وقد أعلن "بيل جيتس" أنه يرغب في مقابلة المهندس المصري (مصطفى خطاب) وأنه على استعداد تام للتفاوض معه بشأن ما أعلنه من أسرار وعلاقات بشركات وسائط متعددة في أمريكا واليابان أهمها شركة (هوت بوكس أوفيس).

لولا أن الخبر قد نشر في صحيفة قومية لما صدقناه!

كلنا اعتقدنا أن أمر القصة القصيرة التي نشرت في عدد من الصحف والمجلات ما هي إلا خيال محض لكاتب مغمور، ولكن الأمر بدا أكثر خطورة.

fb/mashro3pdf

البنت التي...
لم تحضر حفل التوقيع

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

لم تكن بالتأكيد على استعدادٍ كاف أو تام، لكي "يوقع" لها كتابًا، أو يؤكد لها منزلة.. ما!

ليست التي منعها أبوها أو سوء الجو، أو كونها من محافظة بعيدة، أو يوم الجمعة وانشغالات العائلة، أو كرهها لتواجد آخرين مكثف، أو تسليط الضوء عليها بهذه الطريقة.. هذه الليلة!

البنت التي قابلها – أصلًا – قدرًا، فأخبرها...

كل البنات كان يقابلهن قدرًا...

لم يفلح طوال سنوات عمره العشرين في أن يضبط نفسه على "موعد" معها، وفي كل مرة تصله رسالة اعتذار ركيكة على المحمول، أو يعود ليجد رسالة معلقة على شاشة المحادثة! ولا ينزعج.

البنت التي لم يهتم لأمرها أبدًا، وبالتالي لم تلق هي له بالًا، فيما يبدو، ولا يحبها، ولكنه شعر بأنها لن تحضر عندما انتهى اليوم!

fb/mashro3pdf

البنت الوحيدة (إذًا) التي ستشك كثيرًا أنها هي المقصودة (جدًّا) بهذا الكلام، فتحاول أن تقرأ ما بين السطور، وسيحاول جاهدًا أن يرهقها بالرموز المعقدة لكي تتوه بين السطور!!

البنت الوحيدة (أصلًا) التي لا/ لم تقرأ له!

البنت الوحيدة (جدًّا) التي – ربما – لم يدعُها للحفل... أصلًا!

البنت الوحيدة (فقط) التي ستموت مبكرًا جدًّا من عمره!

وأقول لكم عن ثقةٍ وخبرة، وربما دراية أيضًا، أنها البنت الوحيدة التي أكدت له أكثر من مرة أنها ستأتي، وأن ذلك (أيضًا) يسعدها جدًّا، والتي أعد لحضورها، أو لتواجدها أسطرًا وكلمات، وللكتابة لها عبارات خاصة جدًّا، جديدة ومميزة، وبالتالي أسعده أن تحمل له هذه المشاعر رغم أن علاقتهما م ل ت ب سـ ـة!

البنت التي أزعجه (حقًّا) أن تكون قد ماتت في هذا اليوم، أو حدث لها مكروهًا (حقيقيًّا) منعها من المجيء، والتي جعلته يفكر بانزعاج كيف يمكن أن يصير يوم حفل توقيعه يوم شؤمٍ عليها؟!

ولكنه "لمَ" قلقه، ووارى انزعاجه كله عندما علم بطريقةٍ لم تبد مباشرة أنها لا تزال بخير!

كيف.. يفكر فيها.. الآن؟!

البنت التي يعلم أنها تسير فلا تلفت الأنظار، وتتحدث فلا يسمعها أحد!

fb/mashro3pdf

البنت التي عندما قابلها أول مرة – قدرًا.. كما قلنا – ظل اسمها محفورًا بتجاويف ذاكرته، وربما كلماتها...

البنت التي عرف كيف يحدثها على فترات متقطعة، وبوسائل متعددة، وشعر بأن أسبابه تتصل بأسبابها في كل مرة!

البنت التي لم يرها قط، ولم يحلم بها أبدًا، ولم يفكر فيها أصلًا، قد يسميها الغريبة أو الأخرى/ المغايرة/ المختلفة.

البنت التي لولا كونها بنتًا لما سأل نفسه عنها بعد ذلك: لماذا لم تحضر حفل التوقيع؟ ربما كان سيرصد لها الأعذار، كما فعل مع أصدقائه جميعًا، وكما التمس للآخرين مبرراتهم!

البنت التي أدرك في آخر الأمر أنها لم تمت...

ولم تصبها لعنة الحضور، ولم تحل عليها بركة الغياب...

ولم يمنعها أحدٌ من المجيء أصلًا، بل خرجت في ذلك اليوم فعلًا، وكانت على استعداد تام للملاقاة الوشيكة، ووصلت إلى المكتبة.. فعلًا...

البنت الوحيدة.. التي اقتربت من المكتبة ورأتك، ولم تلحظها، ثم سحبت نفسها وانصرفت...

حينها ندمت لأنك لا تعرف إن كانت فعلت ذلك حقًّا أم لا!! *

---

* رغبة من الكاتب في مشاركة القارئ هذا النص/ القصة، برجاء تغيير كلمة (البنت)، ووضع (الولد) مكانها، مع تغيير ما يلزم.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

الرجل الذي قابله.. مرة

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

وعندما جلس أمامي أيقنت أنه محدثي في أمرها، أفاض علي بالكثير من شجنه، وحزنه، حاولت أن أخفف عنه، خرجنا، بعد أن أصر على دفع الحساب بنفسه.

وعبرنا الطريق المزدحم..

استوقفني فجأة: هل رأيتها؟

– ماذا؟ من؟

أخذ يبحث حوله على الرصيف وهو يقول: العملة المعدنية، لقد سقطت مني الآن؟

قلت له: وكيف تجدها الآن؟ هل أنت واثق أنها سقطت هنا؟

قال: سمعت صوتها الآن! ألم تسمعه؟!

أخذت بيده: وسط هذه الضوضاء؟! إني بالكاد أسمعك!

قال ولا تزال عيناه تبحثان بين أقدام المارة: ولكني سمعت صوت ارتطامها جيدًا.

fb/mashro3pdf

قلت له: هون عليك، قال: لا بأس، ونظر فجأة إلى الأفق، وقال: "لنعبر إلى الجهة الأخرى"!

زحام السيارات أتاح لنا سهولة العبور، ولكنه توقف برهة ونظر إلى الجهة الأخرى وهو يقول: أترى،كان من الممكن أن يكون عبورنا أكثر "درامية" مما حدث!

قلت له: تكفينا الدراما في شاشات التلفيزيون.

قال لي: الحياة أكثر درامية مما تعتقد..

أخذنا ندور في شوارع "وسط البلد" التي أتوه فيها كثيرًا، وهو لم يكف عن التعليق على كل ما يراه! قال: أتعلم أنه تم القبض عليَّ مؤخرًا.

لم أُبدِ اهتمامًا لكنه واصل: أن تظل ثلاثة أيام في السجن على ذمة التحقيق لمجرد أن هناك اشتباهًا في اسمك!

قاطعته: بإمكانك أن تجعل من هذه الأيام الثلاثة أسطورتك الخاصة، وتصوغ حولها ما...

– أعرف بين أصدقائي من هم من"الإخوان" ومن ينتمون لـ"كفاية"، لكن أنا.. أنا مجرد...

أطرق صامتًا..

الآن بدا الميدان من آخر الشارع هادئًا و.. رزينًا..

fb/mashro3pdf

قلت له: الآن يحلو لي أن أجوب هذه الشوارع كلها.. هنا تستطيع أن تشم القاهرة القديمة.. يكفيك الشعور بأنك وسط هذه المباني الـ...

قاطعني محتدًّا: صدقني.. أنا أيضًا كنت كذلك مثلك.. أحب...

لحظة، ونظر إلى عيني بعينيه، وكأنه يخترقني: لحظة، هل أعرفك؟ هل تعرفني؟ أي وهم؟

لم أجد غير الميدان من جديد: برأيك ماذا لو كان " طلعت باشا" حيًّا بيننا اليوم؟!

لأول مرة أسمع ضحكته في هذا الليل الطويل.

قال: ماذا لو؟ لعبة قديمة جدًّا يا صديقي، ماذا لو احتلتنا أمريكا؟ ماذا لو مات مبارك؟ ماذا لو عاد صلاح الدين؟ ألهذه الدرجة يحلو لنا أن نهرب؟!

ثم صرخ كالمجنون: يروق لي أن أدخل الجنة الآن!

... ما رأيك؟!

بدأت أجهل ما يأتي به.. ولكن الميدان كان خاليًا!

كل ما أذكره أن الميدان.. ظل خاليًا "بعدها" بفترة!

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

أصواتٌ.. من خارج القاعة!

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

(1)

ستحاول أن تهرب منها بكل ما أوتيت من ضعف، وستحرص هي على التواجد والحضور وفرض السيطرة بكل قوة.

تغلق الآن أغنيةً كنتما قد سمعتماها لأول مرةٍ – على البعد – معًا.

تكف فجأة، ولو باختيارك، عن التذكُّر، تعبث بأوراقٍ قديمةٍ أتى عليها الزمان.. يثيرك ملمس الورق ووقع قلمك الأثير الذي كففت زمانًا عن ملامسته له.. تهرع إلى الكتابة كعادةٍ مقيتةٍ للهرب.. فيباغتك الهاتف المحمول..

ترد على الطرف الآخر باقتضابٍ وبسرعة، وبكلماتٍ كأنك تحفظها من زمن:

– في السابعة، بلى.. يناسبني تمامًا.. شكرًا لاهتمامك.

fb/mashro3pdf

تلعن الهواتف المحمولة والصحافة بصوت عالٍ.. تقوم لتطاردك صورتها مرةً أخرى...

تلقي بقميصك وبنطالك وعددًا من ملابسك في الغسالة، وتنوي أن تحرقها، هل تذكرك ملابسك بها أيضًا؟!

- "الأسود يليق بك".

هي لم تقلها، وأنت لم تلبس لها الأسود مرة!!

تفكر في صنع ذاكرةٍ أخرى تتخلص فيها من القديمة، وتنسفها بمجرد أن تمتلئ.

تسارع بارتداء ملابسك ليفاجئك المحمول مرةً أخرى:

- أوحشتني..

تقولها هذه المرة كأنها تأتي بها من قرار قلبها، تفكر في ألف كلمة مماطلة، وألف ردٍّ بارد، وألف أسلوب عقاب، ... ولكنك تلوذ بالصمت الجاف:

- هل ستبقى صامتًا هكذا؟!

تدور بهاتفك في فراغات الغرفة الواسعة، وتخرج لتدور في الشقة، صورة صديقها المزعوم، صفحة أخيرة لجريدةٍ يومية، كوب من الشاي البارد، ورق وأقلام ... تتسارع كلها أمامك كشريط سينمائي ساذج!

fb/mashro3pdf

– أحبك.

تقولها هذه المرة بحاءٍ وباءٍ حقيقيتين مركزتين، كأنما تغرسهما في أذنك...

تفكر في أنها تفعل ذلك كثيرًا!

تتضارب الأفكار برأسك، لينهي إصبعك بقرارٍ مباغت تواصل حديثها.. تبتسم لانتصارٍ... زائف.

fb/mashro3pdf

(2)

"تؤكد دائمًا في أحاديثك الصحفية أنه لا صداقة حقيقية بين رجلٍ وامرأة، بعد هذا العمر، هل ما زالت على موقفك ورأيك؟"

هذا الصحفي الساذج، لم يعلم أنه سيغدو بذلك "السكينة" التي تنفذ بهدوء إلى لحمها الافتراضي البارد!

تجيب بصرامة: علاقتنا بالبشر كلها ترتبط بالمصلحة يا عزيزي...

وتبتسم باصطناع: بعد حواري معك لن يكون هناك قيمة.. لكلينا!

الصحفي لا يبدو عليه أي امتعاض، وكأنه كان يتوقع الإجابة، وينقل الحوار بعد ذلك إلى أسئلةٍ أخرى، وكأنه يستفزك.. ولكنك تنجح في استدراجه...

– في كتابك الأخير...

fb/mashro3pdf

تتعمد مقاطعته: ليس عيبًا أن أدور حول فكرةٍ واحدة أو عدة أفكار مترابطة، أكدت بأكثر من طريقة وبأمثلةٍ من شرائح متعددة من المجتمع أن الرجل والمرأة وجدا ليتصارعا.. لا ليسكنا في بيت واحد!

لا فرق الآن بين أن تكون نهاية الحوار ابتسامات متبادلة، أو لمُّ أوراق وانصراف مباغت!

fb/mashro3pdf

(3)

الأوراق والأقلام التي تكتب معها سترصها جميعًا في تلك الليلة الاستثنائية أمامك ومن خلفك..

تضع بعض الأوراق بشكلٍ رأسي، وتغرق الغرفة في بعض الأحبار بألوان مختلفة..

فجأة يتشكل العالم من حولك..

جزر مستقلة من الورق الأبيض يطغى عليها حبرٌ أسود من الجانبين، وعددٌ آخر من الكتب تمكن من الصمود ليصنع ناطحاتٍ ورقية... أنت الآن وحدك تمامًا في عالمك الذاتي جدًّا.

بإمكانك أن تغرق هذه الثلة المنحرفة من الأوراق في ماء حبرك الصافي!!

تتمرد عليك الأقلام منزوعة الحبر، يحركها هواء الغرفة الذي غدا رماديًّا بفعل ذرات الحبر المتكثفة.. تتحرك الأقلام باتجاهك، ولا حصن لك غير أوراقك.

تنتفض لتلقي بجثتك الهامدة على سطح الورق!

fb/mashro3pdf

في المساء يدق باب منزلك كثيرًا، حتى يتوقف الصوت..

في الصباح التالي يأتي من يدق الباب بعنفٍ أكبر..

لن تسمع أصوات من بالخارج..

ينادون باسمك..

ولا مجيب...

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

رسالتي الأولى لناقدي العزيز

fb/mashro3pdf

هكذا.. والآن فقط، أستميحك عذرًا في أن أكتب هذه الرسالة لك أنت خصيصًا، أخيرًا سيكون بإمكاني أن أتطفَّل على عالمك، وألهو خلال ساعاتك ودقائقك، وأشغل بعضًا من وقتك، وربما تجسست على قلمك وأدواتك وحروفك.

أود أن أخبرك أمورًا عني في البداية، فأنا لست مجرد قارئ عادي لك، أو كاتب هاوٍ، ولكني محترف، نعم، ولكن ربما محترف من نوع آخر، ربما لم تقابله بعد، لقد احترفت قراءتك أنت تحديدًا، ناقدي العزيز (هكذا أسميك) أنا لست معجبًا فقط بمقالاتك، ولا بقدراتك التحليلية، أو كشفك الدائم عن خبايا النصوص التي تقرؤها، وتقدمها للمتلقِّي العادي على طبقٍ من ذهب، لا، لست كذلك أبدًا، وإن كانت بدايتي قريبة الشبه إلى حدٍّ ما بتلك "الأمور".

ولكني اليوم أصبحت إنسانًا آخر، وكاتبًا مختلفًا، صدقني لا يهمني أبدًا ما ستكتبه عن كتابي، قدر ما يهمني وجوده بحوزتك، صدقني هذه المرة فقط، أنا لا أجاملك، أنا أعيش الآن بين سطورك وحروفك

fb/mashro3pdf

وكلماتك، ربما تعتبرني "مجنونًا" أو "مهووسًا"، مثل هؤلاء المراهقين الذين يعجبون بنجوم الفن والغناء، فيعلقون صورهم في كل مكان، ويتسقَّطون أخبارهم، ويودون أن يقبلوهم ويحتضنوهم، ويسموا أنفسهم بأسمائهم، ويعلنون حبهم لهم على الملأ، وقد يصل الأمر بهم إلى حد تقليد مشيتهم وتسريحة شعرهم، وغير ذلك، إلا أنني أؤكد لك لست من هذا النوع الشاذ (فيما أرى) من الناس، فأنا لم أجمع صورك المنشورة في الصحف والدوريات، ولم أعلق أيًّا منها في غرفتي، كل ما في الأمر أني أجمع مقالاتك، وأقتني كتبك، أقرؤها كلها، نعم، مرة ومرتين، وربما ثلاث مرات، تكتب عن أمورٍ متعددة، وعن قضايا نقدية نظرية كثيرة، وعن عدد من الكتب والمؤلفات التي يصدرها كتاب آخرون، ولكن كل ذلك تكتبه بأسلوبك أنت، بلغتك الرائقة، وأسلوب الساحر الأخاذ! أتعلم أني أصبحت أحفظ عباراتك وعددًا من ألفاظك لفرط ما قرأتها في مؤلفاتك ومقالاتك! نعم أحفظها، وأحبها جدًّا، أنا أراك مبدعًا فريدًا، لذلك (ربما) سميتك ناقدي "العزيز"، النقاد كُثر، لكن أنت الأقرب من قلبي، لعلك تعرف معنى تلك الكلمة وخصوصيتها، وفرادتها (هاه) ما رأيك؟ هل لاحظت معي؟!

فرادتها... نعم، تلك كلمتك أنت، كلماتك كثيرة، وعزيزة كلها على قلبي، أتعلم أني جمعتها ذات مساء، وحاولت أن أصنع منها نصًّا أرفقه برسالتي تلك، نعم يا "ناقدي العزيز"، شعوري أنك أنت من يستحق أن يكتب عنه نصوصًا وقصصًا قصيرة، وروايات، ربما أفعل

fb/mashro3pdf

ذلك قريبًا، ولكن قلت أبدأ برسالة حب خالصة، على عادة ما يفعل المحبين!

هل تراني الآن تقليديًّا، أو مسخًا مشوهًا!! لا إنني لست كذلك (يا ناقدي العزيز) أبدًا، أنا أدرك، ربما ما لا يدركه أحد من قارئيك أهمية كتاباتك وأضع لها قدرها، الجميع يقرؤون لي مثلًا، أو للمبدعين مترامي الأطراف، ولكنهم يتجاهلون دورك الجوهري، كيف يدورون حول الوردة ولا يشمون عبقها؟! جهلة أو مغفلون في أكثر الأحيان! هل يحسن بي الآن أن أذكر ما تفعله في النصوص والكتب التي تقرأها، وتقدم لها، إنك أنت من يفعل ذلك، ولا شك لديَّ أنك واعٍ بأهميته، ويفترض أن هذه الرسالة لك أنت!

كم أنا في حيرة من أمري عزيزي ناقدي...

ولكني سعيدٌ أيضًا لأني تجرأت أخيرًا وكتبت لك هذه الرسالة، بل وعنونتها بعنوان رسالتي الأولى، أنت تدرك أن ذلك معناه أنه سيتلوها عدد من الرسائل، أرجو ألا تضيق بها ذرعًا.

الآن، من فضلك كيف تراني؟!

إن لم تكن تراني، فأنا أراك!

بل وأزيدك أيضًا أني أراقبك.

نعم ناقدي العزيز، بل وأشعر أنه من واجبي أن أفعل..

fb/mashro3pdf

أعرف أنك قد ترى في ذلك هوسًا أو جنونًا، ولكني أتأمل كلماتك وهي تخرج بين شفتيك، لتنزل على أسماع الناس في كل ندوة أو محاضرة تلقيها، أتأمل كذلك ردود أفعالك، اللحظات الذهبية التي تسبق ردك على معارضيك، إيماؤك لمتفقٍ معك في الرأي وتلك الابتسامة الخفيفة جدًّا حينما يحتد أحدهم في الرد عليك، ثم طريقة ردك المعجزة عليه! كأنك تعرف كل اختلاف، وتقدِّر كل رأي، وتحمل لكل كلمة أكثر من دلالة واعتبار!

كم أنت مدهش وساحر وجذاب! بكلامك وإقناعك لمن حولك مهما كانت الاختلافات، كذلك بكتاباتك التي تتماهى فيها تمامًا مع جماليات النص الذي تتناوله، حتى ليبدو بروازًا ذهبيًّا لصورة عادية!

بل وأصارحك بحقيقةٍ أخرى، لكم وددت أن أشرح للناس كيف أن ما تقوم به أكثر ثراءً وأهمية مما يقوم به كبار الكتاب والمبدعين، وأنه لولا كتاباتك ومقالاتك، وكشفك عن جماليات ما يكتبون لما التفت أحدٌ إليهم، وما رآهم، وأنك المرآة الحقيقية التي يتجلى عليها كل حسن و.. وقبيح!

أذكر كذلك.. (ناقدي العزيز) أنك مقلٌّ في نقد ما لا تراه حسنًا من الأعمال، تتجنب الغوص في الوحل، وتترفع عن دس العسل في السم، وذلك يروقني فيك أكثر، ربما لأنني أدرك طبيعة ما تقوم به، ولكن هل تعتقد أنهم جميعًا يدركون ذلك؟ ويقدِّرونه قدره؟!

ناقدي العزيز.. أتعتقد أنه بإمكاني حقًّا أن أغيِّر وجهة نظر الناس عنك تلك! إنهم لا يرون فيك أكثر من "لوحة إرشادية" يمكنهم

fb/mashro3pdf

مواصلة الطريق دون الالتفات إليها، وقليلون جدًّا من يرون أنك القنطرة التي لا يمكننا عبور النهر دون اجتيازها.

والآن، وقد أوشكت رسالتي على الانتهاء، أحب أن أشير إلى أنني سأتتبع خطاك في المرة القادمة، وربما أهديك إحدى نصائحي (واااااااااااااو)، هذا الأمر يشرفني ويسعدني جدًّا.. ناقدي العزيز شكرًا لأنك تسعدني أيضًا..

أحبك...

المخلص

***

قارئي الأعز..

(بدءًا هل تروقك هذه التسمية؟!)

أدهشتني بقدر ما أسعدتني رسالتك، وشعرت حقًّا بأنني بإزاء كاتبٍ متمرس، يمتلك لغته وأدواته.. ولكن فضلًا، هلا أرسلت لي في رسالتك التالية اسمك تحديدًا، وعنوان كتابك حتى أبدأ به؟!

كلي شوق لقراءتك أنا أيضًا.

خالص تحياتي

ناقدك

fb/mashro3pdf

حيرني أمره فعلًا، لأول مرة أتلقى رسالة من هذا النوع! ومن من؟ من كاتب يبدو شابًّا! المعجبين بالناس كما ذكر يكونون لنجوم الفن أو المجتمع، أما نحن معشر النقاد، فكيف يعجب الناس بنا بهذه الطريقة؟!

السؤال الذي حيرني أكثر.. من هو؟ ولماذا فعل ذلك؟!

هل يستدرجني هذا الكاتب الشاب بتلك الطريقة الغريبة، لكي أحسن الكتابة عن كتابه مثلًا؟! أم يستفزني بطريقة أخرى حتى إذا ما لم ترقه كتابتي شهَّر بي؟! هل هي تجربة صحفية جديدة لصحفي شاب يود أن يختبر النقاد مثلًا؟!

ثم إن النقد عادة ما يستلزم الحياد، وبذلك لن أكون حياديًّا معه!

كان أطرف ما واجهني أنه نسي أن يترك اسمه، أو يشير إلى كتابه، ولكنه نجح في استثارة فضولي، حتى أني انكببت على عدد من الكتب التي وصلتني مؤخرًا، أحاول الكشف عن طريقة عجيبة، أو عنوان مختلف ومثير، أو لغة تقترب من لغة تلك الرسالة، أو تلميحًا لأثر النقد أو النقاد!

إلا أن كل محاولاتي باءت بالفشل!

***

fb/mashro3pdf

بعد الرسالة الأولى أخذت أتسقَّط مقالاته من جديد، أحاول أن أرصد ما يسمونه "سماتٍ" في أسلوبه قد تشي بنوعٍ من النرجسية المفرطة، أو الاعتزاز بما يكتب، أو حتى الإشارة إلى دور "النقد" الغائب ذاك، تأكد عندي خبر استلامه الرسالة بمجرد حصولي على الرد، وكان ظريفًا من الساعي أن يخبرني بأنه يريد أن يعرف من "المرسِل"، وأمعنت في تضليله..

أخذت أرصد بعدها تغير كتابته عما كان يكتب، وكأنه يحاول أن يضع لي أنابيب اختبار يستفز فيها ذائقتي ومتابعتي!

أنتم الآن، يا قرائي الأعزاء...

أتعتقدون أنني أهديته كتابي فعلًا؟

أترون أنه من واجبي أن أرسل له رسالة ثانية؟

أم أتركه مثلكم.. على شفا الانتظار؟!

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

بيتٌ آخر.. لفتـاة تبدو عادية

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

حين أراكِ.. يقفز من عينيك الأرنب*

واليوم يراها كما كان يفعل كل يوم، سحرٌ بعينيها غريب، وقسمات وجه تتناوب عليه الأحزان، وهموم السنين .. أي رجل يجب أن أك ونه حتى أنتزعها من بؤس عالمها لـ... عالمي؟!

وهل أضمن أن أجود لها بكل شيء ولا تتحول إلى "حرباء" أخرى تنغص حياتي ؟! فقط لو أمنحها السعادة.. بعض السعادة.. شيئًا من السعادة!

***

أتذكر منظره غاديًا من منزله أو رائحًا، أذكر يوم أن نزل من بيته مغضبًا، كان وجهه يشي بحزنٍ لا حد له، فوج ئ بي على السلم، وجدتني أقولها بعفوية "سلامتك" لم يلتفت لي.. نزل مسرعًا.. لمحته يعود

---

* مطلع قصيدة (ريفية) لعادل محمد.

fb/mashro3pdf

هادئًا بعد فترة..

تمر أيام لا تلتقي أعيننا فيها! ثم إذ بيوم يمنحني فيه ابتسامة كاملة! وكأنها فلق الصباح، لا أدري لماذا يتقافز قلبي كلما رأيته يداعب أخي الصغير، كم يبدو حنونًا..

بعد يوم من الكد بين البيوت، تداعبني أحلامي على وسادتي الخشنة.. ليس مستحيلًا.. ولكنه لن يتحقق!

لا أدري لماذا حتى الأحلام البسيطة تبدو غير ممكنة؟!

***

أسوأ ما كانا يفعلان أن يعقدا المقارنات:

هي أفضل من نورهان، حتى وإن لم تكن متعلمة، هو أحسن من "الواد حسين" صبي القهوة، لأنه ينظر لي بطريقة خاصة! أرتاح في نظرة عينيه! مأخوذٌ بجمال عينيها! ربما تكون "سعاد" أجمل منها، وذات جاذبية خاصة، ولكنها أكثر براءة و... حتى "أحمد" ابن البواب ليس في مثل قوامه واحترامه.

تسير بمنطق (اللي يبص لفوق ...) و(العين ما تعلاش ...).

ويفكر بمنطق (عشان الورد ...) كثيرًا.

***

fb/mashro3pdf

لم يكن من أصدقائي على أي حال، ولكن حينما هويت على وجهه بكفي، لمن كنت أثأر؟ لي أم لها؟ أم لكلينا؟

لم تتعمد أبدًا أن تفعل ما يفعلنه في مثل موقفها هذا، العمارة مليئة بالشباب، فيما أعلم، وهي بفطرتها تعلم قانون (شرف البنت)، لكني كنت كلما مررت عليها لمحت ذلك السحر العجيب.

***

لم تصدق نفسك بعد مرور هذه السنوات أن تعود مرة أخرى، توقعت أن تشاهد (عَدَلها) الذي حرمك من رؤيتها هذه المدة، صعبٌ أن تتلصص على مجتمع البوابين لتدرك أنه طلقها.

قسمات من الهم والحزن الجديدة على وجهها لم تحجب عنك سحر هاتين العينين اللتين تصران: انتشلني من هذه البركة الآسنة.. تتحرك نحو أبيها، يذهل من تفاعلك بالخبر (أمر الله يا باشا).. يحرجك موقفك.. تلمحها بالداخل.. وتقرر الانصراف.

***

ولا حتى هذه المرة يا ابن... ابن من؟ ابن الأكابر؟ ابن الدور اللي فوق؟ لم ألمح عليك أيًّا من مظاهر العز أو الترف، أتذكرك أيام طفولتنا.. لم يكن يمنعك من اللعب معنا شيئًا! لماذا الآن؟ كل نظرات عينيك توحي بما لن تتمكن من نطقه شفتاك! كرهت رؤيتك ...

fb/mashro3pdf

حتى عندما كنت معه كنت أفكر فيك؟ هل هو الحب؟ لماذا لا تخطو خطوة واحدة؟

***

وكان جدي يحكي لنا ويضحك:

نعم كنت كلما رأيتها تذكرت بيتنا القديم في الحق ل، والأرانب والدجاجات التي نجري حولها، لم أكن أعلم أني أحب (الريف) لهذه الدرجة.. أنتم (يا أولاد المدينة) لن تشعروا بذلك أبدًا.

ولكني كنت أشعر به، و أُصِرُّ كل عام أن يأخذنا أبي إلى الأرياف لكي أراها.. و.. يقفز الأرنب.

***

ويقول الرواي:

لم تكن "حكاية" كريمة ومصطفى، والعرس الذي تعجب منه الكثيرون في بلدها.. هي الحكاية الأثيرة لدي، ولكني قررت أن أقصها عليكم خاصة لما لمحت من بريق في عيني الباشمهندس – باعتبار ما سيكون – "أحمد" حفيد مصطفى هذه الأيام، .. حتى تعلموا أن هناك قصصًا أخرى لم تروَ بعد.

fb/mashro3pdf

شـعاعٌ يحـجب الـضوء

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

ريثما يأتي نهار:

*كانت الشمس ترسل أشعتها الذهبية.. للورد، وللعصفورة، وله، ولها... كانت الشمس ترسل أشعتها الذهبية.

للورد .. فيتفتح..

وللعصفورة.. فتغرد..

وله.. فيجف حلقه أكثر!

عبور:

*عندما عبر إلى الجهة الأخرى مسرعًا.. لما تراءت له على الجهة الأخرى، على الرغم من تفاديه لكل السيارات المارقة بحذر.. وعلى الرغم من أنه كان يركض بسرعة.. إلا أنه بمجرد أن وصل إلى الجهة الأخرى أدرك أنه... طيفها الساري!

أمـل!

fb/mashro3pdf

*كان يحلم بالوصول إلى القمة..

أخذ يصعد، ويصعد، قابله في صعوده العديد من العقبات.. فتخطاها ببراعة يُحسد عليها.. ولكنه ما إن اقترب حتى.. انهار!

شوق:

*رأت في منامها أنها حصلت على "الشاطر حسن".. وأن زواجهما سيتم قريبًا.. قامت من نومها متفائلةً.. لم يكن الجو من حولها مناسبًا لذلك.. كادت أن تتعثر حينما تخطت طفلتها التي لم تتجاوز الثامنة.. تذكرت "الزوج الغائب".. عادت إلى النوم!

ثورة!

*خرج من منزله.. نظر إلى الخارج.. لم يعجبه المنظر! عاد مرة أخرى إلى منزله.. نظر إلى الداخل.. لم يرقه الحال! خرج ثانيةً.. ولم يعد!

مقاومة التفكير:

*داوم على أن يرقبها من نافذة الغرفة المقابلة.. ذلك النهار لم يرها.. ذهب إليها بنفسه.. طرق الباب مرارًا.. لم يجد ردًّا.. عاد أدراجه.. رآها ومعها طفلها الصغير.. هرب إلى منزله.

رغبة مختلفة!

fb/mashro3pdf

*يحوطها هدوء قاتل.. شعرت برغبة عارمة في الضوضاء.. فتحت المذياع.. بدأ ينقل إليها ضوضاءه بإيقاع مميز.. تمهلت قليلًا.. إنه مكرر.. وجدت نفسها تردد ما يبثه... لم تحب الملل! أغلقت المذياع.. وهرعت إلى فراشها علها تجد فيه السلوى.. استكانت لهدوء غطيطها في النوم.. وفي منامها لم تحلم به!

fb/mashro3pdf

في انتظـار من لا تعرفـه!

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

طيفٌ غريب من ذاكرة الأمس يداعب أحلامك تلقائيًّا بمجرد تذكر الاتفاق على الموعد المحدد..

من يد تصافحها ليد تترقب أن تصافحك يتخلل عينيك نعاسٌ شفاف، لا يلبث أن يتلاشى بفعل اهتزاز السيارة التي لم تسمح للجفنين بأن يلتقيا بهدوء!

بهدوء عادي يجيء خروجك، بينما السائق يحدد انتهاء خط سيره، تنزل وتبدأ في تفرس ملامح المكان أولًا، وتحديد موقعك، ثم تتفرس الأشخاص، والمحلات المحيطة..

الملامح المعتادة للأماكن الجديدة لا تثير لديك أي فضول للاستكشاف، تهم بسؤال أحد المارة عن المكان المتفق عليه، فتتراجع دونما سبب وجيه!

ها هو المكان يطل عليك برأسه، لا تعلم لماذا حاولت أن تتأكد بنفسك، بدأت تتهيأ بعد أن توقفت أمامه مباشرة من احتمالية اللقاء

fb/mashro3pdf

بذلك المنتظر...

تقلب صفحات الرواية التي بين يديك، محاولًا – كما اعتدت – تجاهل مرور الوقت، أو "إضاعته" ريثما يأتي الآخر.

يلفت انتباهك – ربما لأول مرة – أن الرواية لم تهتم كثيرًا بأمر يبدو لك الآن محوريًّا وفارقًا.. كالانتظار! تقلب صفحات الرواية لتبحث عن الانتظار، فلا تجد مفرادات (ينتظر) (انتظر)!

يتلاشى من ذهنك هذا الخاطر تدريجيًّا بمجرد تصفح وجوه المارة، أيهم سيكون هو؟ بعد أن أخبرته بوجودك في المكان المتفق عليه، لم يبق إلا أن يظهر، أي الثياب سيرتدي، كيف سيبدو وجهه؟ هل سيكون متجهمًا عابسًا، أم ضاحكًا بشوشًا؟!

هل تبدو ملامح الانتظار على وجوه المنتظرين، كما تظن دائمًا؟ ها هو.. نظرات متعاقبة إلى ساعة يده، ونظره إلى الطريق توحي بانتظار لا شك فيه، تقترب منه، تبادله الابتسام، وتمد يدك للمصافحة...

كانوا يقولون أن الأيدي عندما تتلاقى تتعارف، لم تكن يده بارد ة، ابتسامته هي التي كانت، تنسحب بهدوء، بعد أن تتأكد أنك أخطأت.. تبعد النظر عنه محاولًا التخلص من الإحراج الذي غزا ملامح وجهك الآن.

تتغير الوجوه – للمارين – بسرعة، حتى تلك الفتاة المنتقبة لا تجد

غيرك حتى تسأله، وأنت تعلن اغترابك عن المكان، الذي لا يمنعك من أن تجيبها! تتفقد هاتفك المحمول، تسمع رنينًا ليس لك، ولكنك تتلفت حولك لاعتقادك أنه ربما يقترب، تتفرس وجوه المارة من جديد، هذا الرجل بشوش الوجه، ربما يكون هو، ولكنه انصرف عنك بهدوء.

الغريب أنه عندما جاء صافحك مباشرة، موقن أنت أنها المرة الأولى التي يراك فيها!

هل بدا "الانتظار" على ملامح وجهك إلى هذا الحد ؟! كم كرهت هذه اللحظة التي صافحك فيها بكل ثقة، وتمنيت لو ترى وجهك في المرآة.. كيف عرف أنك أنت؟! بادلته الابتسام بمثله.. وانصرفت معه، أخذتما تلوكان بعض الكلمات الخاوية، والحوارات الجوفاء تمامًا، شعرت بثقل في الوقت أشد وطأة مما سبقه! منذ اللحظة الأولى، وأنت تريد أن تتركه.

لما انتهى حواركما وتركته، عدت مرة أخرى إلى نفس المكان، أخذت تنظر إلى ساعتك مرة أخرى.. تحاول استعادة اللحظة بكامل تفاصيلها، حتى النعاس الذي يود أن يداعب جفنيك بدأ يعود من جديد.

تقلب في صفحات الرواية، لا توجد مفردة واحدة للانتظار، لم يقترب منك أحد، هذه المرة، هل تقترب من هذا الواقف منتظرًا وتصافحه، وتبتسم؟!

fb/mashro3pdf

تتقدم إليه، وتحجم..

و.. تنتظر من جديد...

fb/mashro3pdf

على طـاولة المفاوضـات..

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

*** قالوا السياسة مهلكة بشكل عام..**
*** جاري الذي علمته يومًا فنون الصبر.. علمني فنون الانحناء!**
*** كل الأشياء تبدأ صغيرة.. ثم تكبر.**
****

أدركت مبكرًا أن في الأمر مؤامرة!!

عندما أخبروني أن اليوم إجازة رسمية، وأن الأمر جديدٌ هذا العام تضامنًا مع إخواننا في الوطن لم أبدِ سعادتي على عكس المتوقع.. رغم ما يعرفه عني الكثيرون من تملصي الدائم من أوقات العمل في تلك المصلحة التي خطفت مني **10** سنواتٍ من عمري ولم تمنحني مقابل ذلك إلا دينًا كبيرًا لا أقوى على سداده وزوجةً شريكة في الهم والعمل وأولادًا.

أولادي! إذا كان اليوم إجازة رسمية، فلا بد أن الأولاد على علمٍ بها، ما سيجعلهم يسارعون للعودة الفورية للمنزل والجلوس أمام هذا الجهاز مرة أخرى، وعليه يتوجب أن أجد لي مكانًا أقضي فيه جزءًا من يومي قبل عودتي القسرية إلى المنزل!

fb/mashro3pdf

نعم، كنت أعلم أن في الأمر مؤامرة..

من غير المعقول أن يتفق جاري "حامد"، وهو رجل ذو خلق، مع بواب العمارة حتى يقطعوا الكهرباء فنضطر إلى النزول مبكرًا على أرجلنا من الدور الثامن الذي أسكن فيه ما يزيد من إرهاقي لعدم استخدام المصعد على الرغم من أني قد دفعت اشتراك هذا الشهر للبواب الـ...

سمعت الأخبار.. أقصد سمعت في نشرة الأخبار بينما أحتسي كوبًا من الشاي، كنت قد قررت الجلوس على القهوة لأني أعلم أن الصعود إلى الهاوية، أقصد منزلنا سيرًا على الأقدام لن يجدي، لا سيما بعد أن تعطل المصعد... آآه!

كنت أسمع في الأخبار، نعم، النشرة، أن "حزب الله" بلبنان و"حماس" بفلسطين يؤكدان على أهمية المقاومة، وسمعت أيضًا من رجلٍ يبدو عليه التهذيب كان يرتدي بدلة فخمة، ويشرب الزنجبيل...

(كنت أود أن أشرب زنجبيلًا أيضًا، ولكن مؤامرة ما جعلتني أعرض عنه، وأطلب شايًا بطريقة أوتوماتيكية).

نعم.. كان يقول إن المقاومة أصبحت شيئًا ماسخًا وغير ذي بال في الآونة الأخيرة، قال ذلك بصوتٍ واضح!

لا أدري لمن كان يوجه كلامه، الحقيقة أني لم ألتفت إليه..

الإجازة الرسمية اليوم..

و.. "حزب الله"..

وانقطاع الكهرباء صباحًا..

fb/mashro3pdf

و.. الاشتراك من أجل وصلة الـDSL.. المنقطعة..

والأولاد في المدارس..

وشرعية المقاومة وفعاليتها..

وطلبات الزوجة التي لا تنتهي!

وضرورة الجلوس إلى.. "طاولة المفاوضات"..

سألت "حسين" صبي القهوة بمكرٍ مستتر: ألا تعد هذه الطاولة (بينما يضع كوب الشاي) "طاولة مفاوضات"؟! فرد هازًّا رأسه بالإيجاب...

لم يكن الأمر معقدًا، بخلاف ما اعتقده أكثر الجالسين..

يمتلك جارنا (حامد) خط الـ DSL ويتحكم في سيره بين جيرانه في العمارة، ونحن نعلم أنه من أشد المؤيدين للمقاومة الفلسطينية قلبًا وقالبًا، وربما يعود ذلك لانتماء والده أصلًا لجماعة "الإخوان المسلمين"، وبذلك بدا أن أمور السياسة ذات أثر وفعالية غير عادية في عمارتنا العزيزة...

ولكن الأمر لم يقتصر على حامد، فالجلسة و"المفاوضات" بمجرد انتهائها، وعلى الرغم من أنها تمت في قهوة "عم صلاح" القريبة من عمارتنا إلا أنها أسفرت عن بيان أن في عمارتنا تيارات سياسية متباينة ومختلفة وآراء متعارضة كادت أن تودي بحياة بعض الأفراد!

ففي الوقت الذي كان يؤيد فيه (ناصر) – جار الدور الثالث – دور المقاومة بشتى فصائلها إلا أنه ظل يحذرنا باستمرار من خطر

fb/mashro3pdf

"الشيعة" مؤكدًا كلما تسنت له الفرصة على أن لحزب الله انتماءات إيرانية وولاءات لأخطر الناس علينا وهم الشيعة الذين (لا يرقبون فيكم إلا ولا ذمة) على حد تعبيره!

كان من الممكن في تصوري الخاص، أن تمتد وصلة الـ DSL من خلال بلكونة الشيخ (حامد) (بدا لي وصف الشيخ أليق عليه بعد تلك الجلسة، خاصة لما نعلمه عنه من التزام) وتعبر الوصلة عبر شقة المهندس المجاورة لي حتى أتمكن من توصيل الشبكة بيسر، تدخل ناصر في الحوار، وتعقيده للمسألة بهذه الطريقة ودخول "حزب الله" و"الشيعة" في الحوار أيضًا جعلني قلق، فعلى الرغم من أن المهندس (واسمه أحمد حسين) ليس شيعيًّا إلا أن ولاءه لآل البيت غير خافٍ على أحد، ودخول مسألة الشيعة والتشيُّع في حوارنا كاد أن يقضي على هدوئه والتزامه الحياد، كان لزامًا عليه أن يتدخل مبررًا تصرف (حزب الله) فيما أطلق عليه اسم المشكلة الأخيرة بينه وبين مصر(نا الحبيبة)!

وصلة الـDSL اختراع حقير في الأصل تم توفيره مؤخرًا لسكان العمارات المؤجرة، بحجة أنهم ليس لديهم المال الكافي لامتلاك خط خاص بهم، وإنما يمكنهم التعاون والتآزر مع جيرانهم لامتلاك واحد، بدأت هذه البدعة (فيما يصفها البعض) بوصلات القنوات الفضائية لا سيما المشفَّر منها، والتي أصدرت بعض مشايخ الفضائيات فتاوى مجانية بأنها حرام حرام شرعًا، وأنها "سرقة" وما إلى ذلك، ولكن وصلة الـDSL وبمباركة الشيخ "حامد" رأس هذه الجلسة ومحور هذا

fb/mashro3pdf

التفاوض الآن ليست حرامًا، لاعتبارات ليس عندي وقت للتفكير فيها!

الأولاد يريدون وصلة "الإنترنت" لأنهم يحبون أن يدخلوا عليه ويشاركون أصدقاءهم في اللعب من خلاله، وأنا لا أحب لهم ولا لنفسي أن نجلس بالساعات في محلات الكمبيوتر (اصطلح على تسميتها بـ"سايبر") التي توفر هذه الخدمة بأجر رمزي للساعة يتراوح بين الـ 2 و 5 جنيهات، لم تكن أم الأولاد بحاجة كبيرة للكثير من المبررات لكي تقنعني بأن أشترك مع جيراننا بـ"خط"، لا سيما أنه لن يقتطع أكثر من 30 جنيهًا شهريًا.

كان الباشمهندس" أحمد" يؤكد باستمرار أن "حزب الله" فصيلٌ مهمٌّ في المقاومة العربية، يجب علينا احترامه وتقديره نظرًا لما قدمه من تضحيات في سبيل نصرة القضية، وكانوا يقاطعونه بأن هذا لا يبرر تصرفاته الغريبة المستفزة لعموم المصريين، وكان الضيق باديًا عليهم..

كدت ألمح في عيونهم اتهامي بالعمالة، وربما الخيانة، فأكثرهم يعلم أنه ما جمعني بهم إلا تلك الـ"وصلة"، وبالتالي لم أعقِّب على كل ما يقولونه، هل كان من الواجب عليَّ أن أقف في صف "حامد" باعتباره المصدر الأساسي للخط، أم أتعاطف مع المهندس لأن الوصلة لن تصلني إلا من خلاله، أم أبدي عدم اهتمامي بالأمر فعليًّا، وأصرخ فيهم أننا ما اجتمعنا لذلك أصلًا؟!

جاء كوب الشاي في الحقيقة، فاندمجت في ارتشافه.. أشعر أحيانًا أني أعيش في "مسلسلٍ كبير"، وأتمنى لو كان بإمكاني أن أقوم فأشد "فيشة" الكهرباء لأنعم بالهدوء التام، كانت الكلمات تصلني منهم،

fb/mashro3pdf

وأنا شبه مخدَّر إراديًّا بفعل كوب الشاي الذي تأخر عن موعده بسبب.. ممممم.. بسبب ماذا؟؟!

بدا على "أحمد" أنه أكثر الراغبين في شدهم قسرًا إلى موضوع (الوصلة) والتخلص من موضوع "قضية الحزب" أخذ يتحدث عن الأجهزة المستخدمة حديثًا لتوصيل جهاز "الراوتر" بالكمبيوتر، وكيفية استخدامها، لكن "حامد" و"ناصر" فاجآه بجعل موضوع قضية الحزب موضوعًا رئيسيًّا في الجلسة، أبدى بعض الجالسين تأففه، فيما أخذ البعض الآخر يتابع البث الإخباري.

كنت متحفزًا بدون سبب، عندما اقترب مني صبي القهوة هامسًا:

– على فكرة يا باشا.. ممكن تاخد وصلة من العمارة اللي قبالكم.

تركت كوب الشاي، وعقدت حاجباي بشدة، وجعلت تركيزي كله إليه قائلًا:

– مين اللي عامله؟

– أستاذ (مينا).. اللي ف السادس.

و.. انفجرت ضاحكًا!

fb/mashro3pdf

في مسألة تركيب الشبكـة

fb/mashro3pdf

أعجبتني كثيرًا فكرة الأخ "عبد الله" عن نشر الدعوة بطرقٍ أكثر إفادة للناس والمجتمع، لم يكن في بالي بالطبع أن أشترك مع سكان عمارتنا في شيءٍ مما يجتمعون عليه عادة..

مللت من الأفكار التقليدية مثل لصق "بوسترات" في المصعد وأسفل العمارة تدعوهم إلى صلاة الفجر، وتحث النساء على الحجاب، وغير ذلك.

وجدت الفرصة مواتية أخيرًا من خلال وصلة الـ **DSL** تلك، التي يمكن من خلالها وببساطة أن أضع كل المحاضرات والدروس الدينية في ملفاتٍ مشتركة بيني وبين الجيران، يدفعهم فضولهم على الأقل لمشاهدتها والاستماع إليها.

الفكرة جيدة جدًّا، أوعز لي أحد الإخوة أن "الإنترنت" سلاح ذو حدين، وأن الشباب يستخدمونه لمشاهدة مواقع إباحية، أو "تنزيل" الأفلام والأغاني وغير ذلك، فأخبرته بأن كل ذلك وارد ولكننا يجب ألا نغفل عما له من فوائد جمة أيضًا، وأن إقبال الشباب المتزايد عليه

fb/mashro3pdf

يجعل وجوده ضرورة والتحرك من خلاله واجبًا، واستشهدت بتزايد المواقع الإسلامية، والحملات الإلكترونية لنصرة النبي صلى الله عليه وسلم، وأثر ذلك الإيجابي على الشباب الواعي، من جهة، وأثره في الإعلام الغربي بعد ذلك من جهة أخرى.

اتكلت على الله واستخرت، أخبرت زوجتي أني عازمٌ على شراء "راوتر"، وسأعلن عن توافر وصلة **DSL** لمن يريد أن يشاركني فيها من سكان العمارة، لم تبد اعتراضًا، بل أضافت بارتياح أن ذلك سيضاف إلى ميزان حسناتي (إن شاء الله).

* * *

يسكن "ناصر" في الدور الثالث، وكان اكتشافي لوجوده في أحد الأيام بعد صلاة الجمعة مبعثًا على السرور، نريد على الحق أعوانًا، ضايقني أني علمت أنه جاري ولم أره إلا في صلاة الجمعة، ولكني قلت ربما أتمكن من إحضاره بقية الصلوات بعد ذلك، صافحته أول مرة، وعرفته على شقتي، بدا على وجهه الارتياح، حينما قابلته في الجمعة التالية، حاولت ألا أكون فظًّا، طلبت منه أن أقابله في صلاة "المغرب" لأمر خاص، لم يظهر "ناصر" لمدة أسبوع مرة أخرى!

تذرَّع "ناصر" بانشغالاته الكثيرة، وأنه يصلي "جماعة" ولكن في مساجد أخرى!

fb/mashro3pdf

لم أثقل عليه، واعتبرت الأيام كفيلة بتقريبه إلى المسجد وإلى إخوانه أكثر.

بعد شهرين أذهلني "ناصر" بحجم المعلومات التي لديه، ورأيت فيه نموذجًا للمثقف المسلم كما ينبغي، أخبرني عن قراءاته لعدد من المفكرين الذين يعتد برأيهم، بدأت أعتبر ناصر ذراعي اليمنى في العمارة، وكنت أستشيره فيما نفعله لإصلاح هذا المكان.

فرح (ناصر) كثيرًا بخبر وصلة الـ **DSL** وأشار إلى أن استخدامه للإنترنت أصبح يتزايد هذه الأيام، بحكم عمله، وأن هذا سيوفر عليه الكثير من الوقت والجهد.

سارت الأمور على ما يرام، وضعت الإعلان وبدأت الطلبات تتوافد علي، وكنت سعيدًا بذلك جدًّا، أن تشعر بأن الجميع يحتاج إليك، وأنك تقدم لهم خدمة ستكون "فارقة"، هو شعورٌ جميل، أدركت فعلًا كيف يكون "خير الناس أنفعهم للناس"، وحمدت الله على أن الكثير من الجيران كان يعاملني بودٍّ، وإن اختلفت وجهات نظرنا.

في البداية تولى (ناصر) – بارك الله فيه – مسألة حسابات التكلفة، والاشتراك الشهري لكل فرد من أفراد الـ"شبكة"، وإخبار الجيران في العمارة بطرق التركيب والتوصيل من شقتي وإليهم، كما ساعدني في اختيار جهاز (راوتر) مناسب والأسلاك المستخدمة في عملية التوصيل،

fb/mashro3pdf

بل وتطوع بأنه كان يجمع منهم الاشتراكات ويسلمها لي أواخر كل شهر.

للأسف لم يستمر هدوء الأوضاع كثيرًا، بل سرعان ما كثرت شكاوى الجيران من انقطاع الخدمة عنهم حينًا وبطئها أحيانًا أخرى، قلت لـ(ناصر) إنه يجب علينا أن نغيِّر الشركة (مزوِّد الخدمة)، واقترح لي عددًا من البدائل، ونبهني إلى أمر كاد أن يغيب عن ذهني تمامًا..

كان قد مضى على تركيبي "شبكة الإنترنت" نحو خمسة شهور، استفاد فيها نحو **10** من جيراننا من الخدمة، وكنت قد ركنت إلى فكرة وضع الدروس والمحاضرات الدينية، وعددًا من الكتب والمؤلفات الإسلامية في المجلدات المشتركة بيني وبين الجيران، وكنت ألحظ أحيانًا أن بعضهم يأخذ منها، أو يشكرني على شريط سمعه أو محاضرة أثرت فيه، وكنت أسعد بذلك كل السعادة، إلا أن ناصرًا أشار إليَّ بأنها "فرصة" لكي نلتقي ونتعرَّف على هذا العدد من الجيران المشتركين معنا في الشبكة نطلعهم على الأمر، ونستشيرهم في تغيير الشركة التي نتعامل معها، من جهة، ونتبادل معهم أطراف الحديث من جهة أخرى، لا سيما أن الأوضاع السياسية الآن مأزومة ومتوترة، وأضاف (ناصر) أنه يرى ضرورة "توعية" الجيران بعدد من القضايا الشائكة الموجودة على الساحة، مثل قضية (حزب الله) التي كان يعرف رأيي فيها مسبقًا، ولفت انتباهي إلى أنه شاهد أحد أبناء المهندس (أحمد حسين) جار

fb/mashro3pdf

الدور الثالث (هداه الله) يعلق ملصقًا للسيد "حسن نصر الله" مكتوبٌ عليه (النصر لنا)، وأن ذلك أمرٌ خطير.

شكرت (ناصر) على مقترحه، وأعجبت كثيرًا بتفكيره، وطلبت منه أن يسأل الجيران عن أي الأيام يناسبهم أكثر، فاتفق معهم على يوم الإجازة، ولم أبد اعتراضًا إلا على المكان، قال لي سيجتمعون عند قهوة "عم صلاح"!

لم يسبق لي أن جلست على "قهوة" من قبل، أعتبر المكان منكرًا ولا أحب أن يراني الناس في موضع "شبهات"، لكن "ناصر" أشار إليَّ بأن المكان المحايد مطلوب، بل وإن وجودنا في القهوة فرصة لسماع الأخبار وفتح الموضوع بطريقة ودية، حتى نتعرف رأيهم فيما يجري، ونخبرهم بحقيقة الأمر!

اتكلت على الله وذهبت إلى القهوة مرغمًا، وكنت أرى في الناس من حولي نظراتٍ يملؤها الاستغراب، حمدت الله أن الناس بخير، وأنهم لا يزالون يتعجبون أن يكون "حامد" في هذا المكان، طلبت كوبًا من الينسون، وطلبت من صبي القهوة أن يغيِّر المحطة وإلا قمت أنا وجيراني، فامتثل ولم يجد أفضل من قناة (الجزيرة)!

وكما هو متوقع فتح (ناصر) باب النقاش، وأدليت فيه بدلوي بكلمات حاسمة، نبهت فيها على خطورة الموقف، ووافقت ناصر في خطر الشيعة والتشيع على بلاد الإسلام، احتد النقاش بيننا،خاصةً

fb/mashro3pdf

عندما أذاعت "الجزيرة" بيان "حسن نصر الله" الذي يعلن فيه أن العناصر التي ألقت السلطات المصرية القبض عليها تابعة لتنظيم يترأسه.

الحقيقة أنه لأول مرة يبدو "حزب الله" الشيعي بهذا الجلاء أمام الناس، وربما لأول مرة أيضًا نتفق مع الحكومة في التصدي له، وعليه كان يجب سحب انبهار الناس به الذي كان منذ حربه الأخيرة، التي أظهرته وأظهرت زعيمه" حسن نصر الله" كبطل يجب أن يقتدي الناس به!

لفت انتباهي في البدء تحفز المهندس "أحمد حسين" (وكان معروفًا بميوله الشيعية) ومحاولته أن يلحق بـ"حزب الله" كل خصال الفضيلة والشجاعة ومكارم الأخلاق، أخبرتهم بأننا في موقف لا نحسد عليه، ولكن ذلك يجب ألا ينسينا الفرق بين من يسبون صحابة رسول الله ﷺ، وبين من يعادونه ويقتلون المسلمين في كل مكان! عند هذا الحد وجَّه "أحمد حسين" دفة الحديث إلى موضوعنا الرئيسي، وأخبرني بأنه يعرف صديقًا له يمكنه أن يحصل لنا على عرضٍ أرخص من العرض الذي كنت أقدمه لهم، وأن الشركة التي يعمل بها أفضل بكثير من الشركات الأخرى.

أشار "ناصر" إلى جارٍ لنا لم يكن يشاركنا الحوار منذ البداية، وكان صبي القهوة يميل على أذنه بكلمات لم نسمعها، ولكنه انفجر ضاحكًا،

fb/mashro3pdf

فالتفتنا إليه متعجبين، وهممت بأن أشركه في الحوار الدائر حتى أتبين موقفه، ولكنه بادر بالقيام!

لم تمض أيام على هذه الجلسة حتى فوجئت بانسحاب عدد من المشتركين معنا من الشبكة، رغم أن الخدمة أصبحت أفضل هذه المرة، بعد تغيير الشركة كما اتفقنا، وكنت أسأل (ناصر) عن دواعي ذلك التغير وهذا الانسحاب، فيخبرني بأنه سيبحث في الأمر..

عندما عدت إلى المنزل حدثت زوجتي في الأمر، وسألتها هل من الممكن أن يكون ذلك بسبب تقصيري، أم أنني حسبت الأمر من البداية بطريقة خاطئة؟

fb/mashro3pdf

إبراهيم عادل

حاصل على ليسانس آداب ـ جامعة القاهرة 2003.

عضو جماعة "مغامير" الأدبية.

صاحب مدونة "أنا وأنا".
http://www.anaweana.blogspot.com

صدر له "المسحوق والأرض الصلبة" ـ نصوص ـ عن دار أكتب 2008.

له قيد النشر:

واجبات الضيافة.

أن تعيش فتقرأ.

fb/mashro3pdf